****

**العلماء وتحصين الشباب من الفكر المنحرف**

 **" الأسس، والمحددات "**

**كتبه:**

**د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ،،**

**أما بعد:**

**فاستجابة لدعوة كريمة من جامعة:( نايف العربية للعلوم الأمنية ) أقدم هذه الورقات وعنوانها:( العلماء وتحصين الشباب من الفكر المنحرف:" الأسس والمحددات " ).**

**للمشاركة في المؤتمر الذي ينظمه مركز الدراسات والبحوث في الجامعة بعنوان:( دور العلماء في الوقاية من الإرهاب والتطرف ).**

**آملاً أن يكون مضمونها مفيداً ومثرياً للنقاش في هذا المؤتمر المبارك.**

**والحمد لله أولاً، وآخراً.**

**وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.**

 **وكتب:**

 **د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق**

لقد جعل الإسلام للعلماء منزلة رفيعة، ومقاماً ليس لغيرهم من الناس، وأقامتهم أدلاء على أحكام الله -عزَّ وجلَّ- وهذا ينبني عليه أمران:

**الأول:** أن طاعتهم طاعة لله سبحانه ولرسوله -- فالتزام أمرهم واجب.

**الثاني:** أن طاعتهم ليست مقصودة لذاتها، بل هي تبع لطاعة الله ورسوله --.

ومن أدلة هذه المنزلة وهذا الاعتبار للعلماء:

1- أن الله -عز وجل- أمر بطاعتهم:{ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ}[النساء:59] وقد اختلف أهل العلم في المراد بقوله:( وأولي الأمر ) فمنهم من قال: هم أهل العلم، ومنهم من قال: هم الأمراء والسلاطين.

 ( ويجوز أن يكونوا جميعاً مرادين بالآية؛ لأن الاسم يتناولهم جميعاً؛ لأن الأمراء يلون أمر تدبير الجيوش والسرايا، وقتال العدو، والعلماء يلون حفظ الشريعة، وما يجوز مما لا يجوز، فأمر الناس بطاعتهم والقبول منهم )([[1]](#footnote-1)).

2- أن الله أوجب الرجوع إليهم وسؤالهم عما أشكل: قال سبحانه: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ } [الأنبياء:7].

فالعلماء بمثابة الأدلاء فبهم يعرف حكم الله، ويستعان بفهمهم لفهم مراد الله تعالى ومراد رسوله -- لا أن طاعتهم مقصودة لذاتها، وإنما يسأل العلماء لأنهم أهل الذكر والعلم بالله وعن الله -عز وجل-([[2]](#footnote-2)).

3- أن الله أوجب الرد إليهم عند وقوع الفتن والشرور يقول الله سبحانه:{ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا }[النساء:83].

فهذا توجيه للناس:( إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها، فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: {لعلمه الذين يستنبطونه منهم} أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة ) ([[3]](#footnote-3)).

4- أن الله سبحانه عظم قدرهم فأشهدهم دون غيرهم على أعظم مشهود: فقال سبحانه:{ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[آل عمران:18].

فقد أشهد الله تعالى أهل العلم على أجل مشهودٍ وهو توحيده، وهذا يدل على فضل العلم والعلماء، وأن العلماء في جملتهم عدول؛ لأن الله سبحانه لا يُشهد إلا العدول، وأن الخلق تبع لهم، فإذا جعلهم الله سبحانه شهوداً على أعظم مشهود فإن هذا يدل على أن لهم اعتباراً في الشرع فيما دون ذلك.

5- أن الله سبحانه نفى التسوية بين العلماء وغيرهم فقال: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ } [الزمر: 9].

قال الطبري –رحمه الله-:( يرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين، الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به )[[4]](#footnote-4)

6- أن أهل العلم أبصر الناس بالشر ومداخل الشيطان، فقال سبحانه:{ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ}[النحل:27].

ولما كان العلماء هم العارفون بالشر صاروا هم الذين ينهون الناس عن الوقوع فيه قال تعالى:{ لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } [المائدة:63].

أي: هلا نهاهم العلماءُ المتصدون لنفع الناس عن هذه الشرور العظيمة، وهم – أي: العلماء-: العارفون بالشر ومداخل الشر، فكان لزاماً أن يبينوا للناس.

والناس عليهم لزوم طاعة العلماء والاستجابة؛ لتحذيرهم من الشر، ونهيهم عن المعاصي.

7- أن العلماء ورثة الأنبياء، وهم المفضلون بعد الأنبياء على سائر البشر: فعن أبي الدرداء – رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -- يقول " إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر "([[5]](#footnote-5)).

قال ابن رجب – رحمه الله-:( يعني: أنهم وَرثوا ما جاء به الأنبياء من العلم، فهم خَلَفُوا الأنبياء في أممهم بالدعوة إلى الله وإلى طاعته، والنهي عن معاصي الله والذود عن دين الله )([[6]](#footnote-6)).

8- أن العلماء هم المبلغون عن الأنبياء: فقال --:" تَسْمَعُونَ، ويُسمع منكم، ويُسْمَعُ ممن سمع منكم "([[7]](#footnote-7)).

فبين -- أن هذا العلم يؤخذ بالتلقي، وكل جيل من أهل العلم يُبَلغهُ لمن بعده.

9- أن نجاة الناس منوطة بوجود العلماء، فإن يُقبض العلماء يهلكوا: فعن عبد الله ابن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -- يقول:" إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوسا جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضَلُّوا، وأَضَلُّوا "([[8]](#footnote-8)).

ضلوا بإفتاء الناس بالباطل، وقولهم على الله تعالى بغير علم ولا هدى، ولا كتاب منير، وأضلوا الناس الذين اتبعوهم، وحينذاك يهلك الجميع.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:( لا يزال عالم يموت، وأثر للحق يَدرس، حتى يكثر أهل الجهل، ويذهب أهل العلم، فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل )([[9]](#footnote-9)).

إن منزلة العلماء ومكانتهم ليست تعظيماً لذواتهم، وإنما لما يحملونه من العلم فللعلم قيمته في الإسلام؛ إذ لا قيام لدين المرء إلا على العلم:{ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}[محمد:19].

والعلماء هم المؤثرون في الناس يعرفون بربهم، ويبينون لهم الحق، ويدعونهم إليه فالعلماء هم هداة الناس.

فالنبي -- قال عنه ربه: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52] وورث العلماء هذه المهمة عنه.

والهداية إلى الصراط المستقيم: هداية الدلالة والإرشاد، وتعني الهداية إلى الصراط ابتداء، والهداية إلى تفاصيله، والتحذير مما يخالفه.

وبهذا يتبين أن العلماء يقومون بمهام عظمية:

**أولها: ربط الخلق بخالقهم:** فالرؤية الإسلامية تربط أحكام الحياة كلها بالله - عز وجل- مصدراً وغاية، فلا يمكن أن تتحقق الحياة السعيدة للناس، ما لم يرتبطوا بربهم وخالقهم -سبحانه- ولذلك جاءت دعوة الرسل -عليهم السلام- كلهم إلى التوحيد: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36].

وجاء الأمر بالاعتصام بحبل الله:{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[آل عمران:103].

فمهمة العلماء إنما تعبيد الناس لرب الناس -سبحانه-.

**الثاني: تأصيل الناس على الحق:** وذلك بوضع الأسس لتأصيل الناس على الحق؛ ليبنوا اعتقادهم وعملهم على أساس متين، وجماع ذلك أمران:

1- التأصيل بضبط مصادر التلقي: بأن يبين العلماء للناس من أين يأخذون الحق، وما مصادرهم في ذلك.

2- التأصيل بضبط منهج الفهم: ذلك أن آفة بعض الناس في نظرهم للنصوص سوء فهمهم، فالعلماء يبينون للناس أصول الفهم الرشيد.

**الثالث: التحصين والحماية من الباطل:** فالعلماء كماهم هداة، يقومون بمهام حراسة الملة، وحماية الدين من العوادي، ومن ذلك: تحصين الناس من الباطل، وتحذيرهم من ترك الصراط المستقيم إلى بنيات الطريق السائقة إلى النار.

**الرابع: معالجة ما يقع من ضلال:** فالعلماء أطباء القلوب، يقومون على معالجة ما يقع في القلوب من أدواء، وهم بالتالي يعالجون ظواهر الانحراف في الأمة.

وهذا البحث معقود؛ لبيان:( أثر العلماء في تحصين الشباب من الفكر المنحرف ) ويركز القول في الأسس، والمحددات الضابطة لهذا الأمر.

وهذه المحددات:

منها: ما يتعلق بالمجتمع.

ومنها: ما يتعلق بالعلماء أنفسهم.

## المبحث الأول:

## تحرير المراد بالعالم الشرعي

**العالِم هو:** العارف بشرع الله سبحانه، المتفقه في دينه، العامل بما يعلم على هدى وبصيرة، الذي وهبه الله الحكمة { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا }[البقرة:269].

**والعالم هو:** الذي جعله الله – عزّ وجلّ- عماد الناس عليه في الفقه والعلم، وأمور الدين والدنيا.

**والعالم هو من**: ( فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء بهم يهتدي الحيران في الظلماء )([[10]](#footnote-10)).

**كيف يعرف العالِم؟**

**إن العلماء يعرفون بعلمهم**، و**برسوخ أقدامهم** في مواطن الشُّبَهِ؛ حيث تزيغ الأفهام، فلا يَسلمُ إلا من آتاه الله العلم، أو من اتبع أهل العلم.

يقول ابن القيم – رحمه الله -:( الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشُّبه بعدد أمواج البحر ما أزالت يقينه، ولا قدحت فيه شكاً؛ لأنه قد رسخ في العلم، فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردت عليه ردَّها حرسُ العلم وجيشُه مغلولة مغلوبة )([[11]](#footnote-11)).

**ويعرفون بنسكهم وخشيته لله**، واستعلائهم على الدنيا وحظوظها؛ لأنهم أعرف الناس برب الناس يقول تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ }[فاطر: 28].

قال ابن تيمية -رحمه الله -:( ومن له في الأمة لسان صدق عام بحيث يثنى عليه ويحمد في جماهير أجناس الأمة، فهؤلاء هم أئمة الهدى ومصابيح الدجى )([[12]](#footnote-12)).

**التفريق بين العلماء ومن قد يشتبه بهم:**

لكي يتم التصور الصحيح لحقيقة العلماء فلا بد من التمييز بينهم وبين من قد يعد منهم، وليس منهم:

## أولاً: التفريق بين العلماء والقراء:

مع تفشي القدرة على القراءة بين الناس واقتران ذلك مع كثرة الكتب الشرعية التي تصدرها المطابع وهذا مع أنه نعمة عظيمة إلا أنه قد يكون سبباً للانحراف عن الحق، وذلك إذا تصدى الناس بسبب انتشار الكتب بينهم للنظر في النصوص دون معرفة بأصول النظر، وقواعد الاستنباط ودون معرفة بعوارض الأدلة وطرق دفع التعارض، وأساليب الترجيح.

وما انحراف الخوارج وجرائمهم ضد الأمة إلا جراء هذا الأمر فقال النبي -- في وصفهم:" يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم "([[13]](#footnote-13)).

قال الإمام النووي -رحمه الله-:( المراد أنهم ليس لهم فيه حظ إلا مروره على لسانهم لا يصل إلى حلوقهم فضلا عن أن يصل إلى قلوبهم لأن المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب)([[14]](#footnote-14)).

إن هذه الظاهرة – تفشي القراءة – أنتجت طائفة هم القراء والمقصود بهم: فئة من طلبة العلم، أو المثقفين قرؤوا نتفاً من العلم وهم غير فقهاء بذلك العلم، ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد بل تعداه إلا الإفتاء والتصدي لمسائل كبيرة خطيرة.

وهناك بونٌ شاسع بين القارئ للعلوم الشرعية، والفقيه فيها: فالقارئ لديه نتف وجزئيات أمسك بها من خلال قراءته لبعض الكتب، واطلاعه على أقوال أهل العلم، فهو لم يعان العلم، ولم يزاحم العلماء بالركب في الحِلق، لذلك تجده قد أغلق عليه حين يسأل عن مسألة من مسائل العلم، ويصدق عليهم قول الذهبي – رحمه الله -:( قوم انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يُتقنوا منه سوى نزر يسير، أوهموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يَدر في أذهانهم قطُّ أنهم يتقربون به إلى الله؛ لأنهم ما رأوا شيخاً يقتدى به في العلم، فصاروا همجاً رعاعاً، غاية المدرس منهم أن يحصل كتباً مثمنة يخزنها وينظر فيها يوماً ما، فيصحف ما يورده ولا يُقَرِّره، فنسأل الله النجاة والعفو )([[15]](#footnote-15)).

أما العالم الفقيه فليس كأولئك بل هو ذو فهم شمولي عام للإسلام، واطلاع على مجمل الأحكام الشرعية، فقد درس العلم الشرعي دراسة شمولية متعمقة، مما منحه القدرة على فهم النصوص، واستنباط الأحكام الشرعية منها، مع الفهم لمقاصد الشريعة وأهدافها العامة.

قال الرامهرمزي -رحمه الله-: (ولولا عناية الطالب بضبط الشريعة، وجمعها واستنباطها من معادنها، لم يتصدر هو وأصحابه إلى السواري، ولا عقد أهل الفتيا مجالسهم في المسائل التي هي مبنية من السنن المنقولة ومستخرجة من الآثار المروية)([[16]](#footnote-16)).

## ثانياً: التفريق بين العلماء والمفكرين والمثقفين:

نتيجة لالتقاء الثقافتين: الإسلامية، والغربية والصراع بينهما نشأ في المجتمعات المسلمة فئة من الأخيار الذين يفهمون الإسلام فهماً عاماً، مع المعرفة للتصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، مع إطلاع على مجمل القضايا التي تعد مفرق طرق بين الإسلام والأديان والمذاهب المعاصرة الأخرى مثل: قضية المادية، وفصل الدين عن الحياة، والعولمة ونحو ذلك.

وهم إلى ذلك يحملون هم نشر الدين وحمايته، ويملكون وعياً بالقضايا المستجدة واطلاعاً على الحضارة الغربية وأوجه نقدها.

وهؤلاء ليسوا من علماء الشريعة، وإنما هم ( مفكرون ) وحكماء يستنار برأيهم ويستفاد من علمهم في الجوانب التي أجادوا فيها.

ولا يخلط بين تصدرهم باعتبارهم:( مفكرين ) وبين العلماء، فهؤلاء المفكرون لهم مكانتهم، وبعضهم قد نفع الله سبحانه بهم نفعاً كبيراً لا ينكر فضله، ولكنهم لا يغنوا عن العلماء شيئاً إلا في حدود علمهم وقدراتهم.

وعليهم أن يرجعوا للعلماء في أمور الشريعة، ويكونوا عوناً لهم في شرح الجوانب التي هم أهل الاختصاص بها.

فكلام هؤلاء المفكرين والمثقفين يجب أن يكون محكوماً بالشرع، وبما يقرره علماء الشرع.

## ثالثاً: التفريق بين العلماء والخطاب والوعاظ:

والمقصود هنا من كان لا ينتمي إلى فئة العلماء، فكثير من العلماء كانوا من كبار الوعاظ ومنهم العالم الحنبلي أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.

لقد اغتر قوم من الناس بمن له قدرة على الوعظ والخطابة، وظنوها برهاناً على العلم، ولذلك ترى عوام الناس يتسارعون إلى الوعاظ أكثر من تسارعهم إلى العالم.

قال ابن الجوزي -رحمه الله-:( كان الوعاظ من قديم الزمان من العلماء والفقهاء، وقد حضر عبد الله بن عمر مجلس عبيد بن عمير، وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القاص مع العامة بعد الصلاة، ويرفع يديه إذا رفع، حتى إذا خَسَّت هذه الصناعة تعرض لها الجُهَّال، فأعرض عن الحضور المميزون من الناس وتعلق بهم العوام والنساء، فلم يتشاغلوا بالعلم، وأقبلوا على القصص وما يعجب الجهلة، وتنوعت البدع في هذا الفن )([[17]](#footnote-17)).

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-:( إنَّكم في زمان كثيرٍ علماؤه قليل خطاؤه، وإن بعدكم زماناً كثير خطباؤه ،والعلماء فيه قليل )([[18]](#footnote-18)).

## المبحث الثاني:

## العلم الشرعي حصانة من الجهل

قال --:" إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضَلُّوا، وأَضَلُّوا "([[19]](#footnote-19)).

قال الشاطبي -رحمه الله-:( قال بعض أهل العلم: تدبروا هذا الحديث فإنه يدل على أنه لا يؤتى الناس قط من قبل علمائهم، وإنما يؤتون من قبل أنه إذا مات علماؤهم أفتى من ليس بعالم، فيؤتى الناس من قبله.

وقد صرف هذا المعنى تصريفاً فقيل: ما خان أمين قط ولكنه ائتمن غير أمين فخان.

قال: ونحن نقول: ما ابتدع عالم قط، ولكنه استفتي من ليس بعالم فضل وأضل ) ([[20]](#footnote-20)).

قال مالك بن أنس -رحمه الله-: بكى ربيعة يوما بكاءً شديداً، فقيل له: مصيبة نزلت بك؟ فقال:( لا، ولكن استفتي من لا علم عنده ) ([[21]](#footnote-21)).

وعن الحسن -رحمه الله- قال:( العامل على غير علم كالسائر على غير الطريق والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بترك العبادة واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بترك العلم، فإن قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم؛ حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد -- ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا ) ([[22]](#footnote-22)).

علق الشاطبي -رحمه الله- فقال:( يعني الخوارج - والله أعلم - لأنهم قرأوا القرآن، ولم يتفقهوا حسبما أشار إليه الحديث: "يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم"([[23]](#footnote-23)) ) ([[24]](#footnote-24)).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:( والجهل والظلم هما أصل كل شر، كما قال سبحانه: { وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً } [الأحزاب: 72] )([[25]](#footnote-25)).

فـ ( المحرمات جميعها من الكفر والفسوق والعصيان إنما يفعلها العبد لجهله أو لحاجته فإنه إذا كان عالما بمضرتها وهو غني عنها امتنع أن يفعلها والجهل أصله عدم والحاجة أصلها العدم.

فأصل وقوع السيئات منه عدم العلم والغنى، قال الله تعالى: { مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ }[ هود: 20] { أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ }[يس: 62] { إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ \* فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ }[الصافات: 69-70] إلى نحو هذه المعاني )([[26]](#footnote-26)).

ويقول ابن القيم -رحمه الله-: ( الجهل والظلم يصدر عنهما كل قول وعمل قبيح ومن وصفه الجهل والظلم لا مطمع في استقامته واعتداله البتة؛ فيوجب له ذلك بذل الجهد في العلم النافع الذي يخرجها به عن وصف الجهل والعمل الصالح الذي يخرجها به عن وصف الظلم ومع هذا فجهلها أكثر من علمها وظلمها أعظم من عدلها ) ([[27]](#footnote-27)).

ويقول -رحمه الله- أيضاً:( وأما السيئات فمنشؤها من الجهل والظلم؛ فإن العبد لا يفعل القبيح إلا لعدم علمه بكونه قبيحاً، أو لهواه وشهوته مع علمه بقبحه، فالأول جهل والثاني ظلم، ولا يترك حسنة إلا لجهله بكونها حسنة، أو لرغبته في ضدها لموافقته هواه وغرضه، وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل، وإلا فلو كان علمه تاماً برجحان ضررها لم يفعلها فإن هذا خاصة الفعل؛ فإنه إذا علم أن إلقاءه من مكان عال يضره لم يقدم عليه، وكذلك لبثه تحت حائط مائل، وإلقاءه نفسه في ماء يغرق فيه وأكله طعاماً مسموماً، ولا يفعله لعلمه التام بمضرته الراجحة بل هذه فطرة الله عليها الحيوان بهيمة وناطقة، ومن لم يعلم أن ذلك يضره كالطفل والمجنون والسكران الذي انتهى سكره فقد يفعله، وأما من أقدم على ما يضره مع علمه بما فيه من الضرر، فلا بد أن يقوم بقلبه أن منفعته له راجحة، ولا بد من رجحان المنفعة عنده إما في الظن وإما في المظنون.

ولو جزم راكب البحر بأنه يغرق ويذهب ماله لم يركب أبداً، بل لا بد من رجحان الانتفاع في ظنه وإن أخطأ في ذلك، وكذلك الذنوب والمعاصي، فلو جزم السارق بأنه يؤخذ ويقطع لم يقدم على السرقة بل يظن أنه يسلم ويظفر بالمال، وكذلك القاتل والشارب والزاني، فلو جزم طالب الذنب بأنه يحصل له الضرر الراجح لم يفعله، بل إما أن لا يكون جازماً بتحريمه أو لا يجزم بعقوبته، بل يرجو العفو والمغفرة، وأن يتوب ويأتي بحسنات تمحو أثره )([[28]](#footnote-28)).

فالجهل هو أصل فساد الدين؛ ولهذا قال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: ( من عبد الله بجهل أفسد أكثر مما يصلح )([[29]](#footnote-29)).

قال ابن الجوزي -رحمه الله-:( اعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل، فهو يدخل منه على الجهال بأمان، وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة.

وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم، لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد، ولم يُحكم العلم )([[30]](#footnote-30)).

قال ابن القاسم سمعت مالكاً يقول:( إن أقواماً ابتغوا العبادة وأضاعوا العلم، فخرجوا على أمة محمد بأسيافهم ولو ابتغوا العلم لحجزهم عن ذلك )([[31]](#footnote-31)).

و ( الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع.

ويوضح هذا المعنى ما روى أبو عبيد عن إبراهيم التيمي؛ قال: خلا عمر ذات يوم؛ فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد، وقبلتها واحدة؟ فأرسل إلى ابن عباس؛ فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة؟ فقال: ابن عباس: يا أمير المؤمنين! إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيما نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا. قال: فزجره عمر وانتهره؛ فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال؛ فعرفه فأرسل إليه؛ فقال: أعد علي ما قلت، فأعاده عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه )([[32]](#footnote-32)).

روى ابن وهب عن بكير؛ أنه سأل نافعاً: كيف كان رأي ابن عمر – رضي الله عنهما- في الحرورية؟ قال:( يراهم شرار خلق الله، إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين )([[33]](#footnote-33)).

## المبحث الثالث:

## الأسس المتعلقة بمنزلة العلماء

## أولاً: ربط العامة بالعلماء المعتبرين:

لأنهم هم المعنيون بقوله --:" يحمل هذا العلم من كل خلف عُدُولُه ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين "([[34]](#footnote-34)).

قال النووي -رحمه الله-:( وهذا إخبار منه -- بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه، وأن الله تعالى يوفق له في كل عصر خلفاء من العدول يحملونه، وينفون عنه التحريف وما بعده، فلا يضيع، وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر، وهكذا وقع ولله الحمد، وهذا من أعلام النبوة، ولا يضر مع هذا كون بعض الفساق يعرف شيئًا من العلم، فإن الحديث إنما هو إخبار بأن العدول يحملونه لا أن غيرهم لا يعرف شيئًا منه )([[35]](#footnote-35)).

وقال ابن القيم-رحمه الله-:( فأخبر أن الغالين يحرفون ما جاء به، والمبطلون ينتحلون بباطلهم غير ما كان عليه، والجاهلون يتأولونه على غير تأويله وفساد الإسلام من هؤلاء الطوائف الثلاثة فلولا أن الله تعالى يقيم لدينه من ينفي عنه ذلك لجرى عليه ما جرى على أديان الأنبياء قبله من هؤلاء )([[36]](#footnote-36)).

ولأن نجاة الناس منوطة بوجود العلماء، فإن يُقبض العلماء يهلكوا، فإن من الواجب السعي إليهم، والأخذ عنهم، فهم ورثة الأنبياء، فمن أراد أن ينال شيئاً من إرث النبوة فعليه بمجالسة العلماء، والأخذ عنهم، والآخذ عن العلماء السالك في طريق العلم يسهل الله له طريقاً إلى الجنة.

فعن أبي هريرة -- قال: قال رسول الله --:" من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة "([[37]](#footnote-37)).

والصدور عن رأي العلماء علامة خير ورشد قال سلمان الفارسي --:( لا يزال الناس بخير ما بقي الأول؛ حتى يتعلم، أو يعلم الآخر، فإن هلك الأول قبل أن يعلم، أو يتعلم الآخر هلك الناس )([[38]](#footnote-38)).

وسنة التلقي عن أهل العلم سنة ماضية حضَّ عليها الرسول -- فقال:" تَسْمَعُونَ ويُسمع منكم، ويُسْمَعُ ممن سمع منكم "([[39]](#footnote-39)).

فبين -- أن هذا العلم يؤخذ بالتلقي، وكل جيل من أهل العلم يُبَلغهُ لمن بعده.

ولقد فقه السلف - الصحابة ومن بعدهم- هذا المنهج في التلقي فكان حرصهم كبيراً على التلقي أهل العلم.

عن أبي جحيفة -- قال:( كان يقال: جالس الكبراء، وخالل العلماء، وخالط الحكماء )([[40]](#footnote-40)).

وقال أبو الدرداء --:( من فقه الرجل: ممشاه، ومدخله، ومخرجه، مع أهل العلم )([[41]](#footnote-41)).

وقال عبد الرحمن بن مهدي-رحمه الله-:( كان الرجل من أهل العلم إذا لقي من هو فوقه في العلم فهو يوم غنيمته، سأله وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه في العلم علمه وتواضع له، وإذا لقي من هو مثله في العلم ذاكره ودارسه )([[42]](#footnote-42)).

إن الكتب وحدها لا تغني عن أحد ما لم يكن ثمة حملة صادقون لها؛ إذ لو أغنت الكتب عن أحد لأغنت عن بني إسرائيل.

فعن أبي الدرداء -- قال: كنا مع رسول الله -- فشخص ببصره إلى السماء ثم قال:" هذا أوان يختلس العلم من الناس؛ حتى لا يقدروا منه على شيء " فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس العلم منا، وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأنه، ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا؟ فقال:" ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأعدُّك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم؟"([[43]](#footnote-43)).

فذهاب العلم إذاً ليس بذهاب الكتب، وإنما هو بذهاب العلماء.

قال ابن عباس – رضي الله عنهما-:( أتدرون ما ذهاب العلم؟ ) قالوا: لا، قال: ( ذهاب العلماء )([[44]](#footnote-44)).

إن الاقتصار بالتلقي عن الكتب فقط يحرم المتلقي أموراً عظيمة منها:

- الاقتداء بسلفه من أهل العلم، فإنَّ أهل العلم لم يكن بعضهم يأخذ عن بعض العلم فقط، بل كانوا يأخذون السمت والخلق، قال ابن سيرين – رحمه الله-:( كانوا يتعلمون الهدي، كما يتعلمون العلم )([[45]](#footnote-45)).

- ومنها: الفهم السليم؛ ذلك أن من تعلم من الكتب غالباً ما يفضي به ذلك إلى ضروب من سوء الفهم، ولذلك قال الإمام الشافعي -رحمه الله-:( من تفقه من بطون الكتب ضيَّع الأحكام )([[46]](#footnote-46)).

- ومنها: الأدب، وخصوصاً أدب التواضع فإن من الملاحظ أن من أخذ عن الكتب فقط تعالى على أهل العلم ورأى لنفسه من المنزلة ما ليس لهم.

إن الابتعاد عن هذا المنهج الرشيد في تلقي العلم عن العلماء والصدور عن أقوالهم خاصة عند الفتن والنوازل؛ أوقع الخوارج في المحظور، فسفكوا الدم الحرام، فكان سمة الخوارج الاعتراض على أجلة العلماء: صحابة رسول الله-- يرفضون أقوالهم، بل ويتبرؤون منهم، ويكفرونهم، ويستحلون دماءهم، وكذلك فعل أتباعهم في كل حين إلى عصرنا الحاضر، إمامهم في ذلك ذو الخويصرة حيث اعترض على النبي -- فقال له:( يا محمد اعدل.. ) ([[47]](#footnote-47)).

إن اهتداء المرء موكول باعتصامه بالكتاب والسنة، واعتصامه بالكتاب والسنة موكول باقتدائه بأهل العلم بالكتاب والسنة.

إن المتلقي عن غير العلماء يقع في الانحراف ثم غالباً ما يعتذر بالجهل، ولكن هذا لا يمهد العذر له إذ إن جهل المرء لا يعفيه من تبعات الوقوع في الخطأ والانحراف، بل يلزمه إذا كان جاهلاً أن يسأل أهل العلم:

يقول الله تعالى:{ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }[الأنبياء:7] فأمر عند عدم العلم بسؤال أهل الذكر؛ لأنهم الأدلاء على حكم الله وحكم رسوله --.

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة، وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي -- أخبر بذلك، فقال: " قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال "([[48]](#footnote-48)) الحديث.

إن عدم اعتبار العلماء، يقابله الأخذ عن غير الأكفياء، ومن العوام والجهلاء، وإذا وقع ضل الناس.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -- يقول:" إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضَلُّوا وأَضَلُّوا "([[49]](#footnote-49)).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال:( لا يزال عالم يموت، وأثر للحق يَدرس حتى يكثر أهل الجهل، ويذهب أهل العلم، فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل )([[50]](#footnote-50)).

وحتى تقع العصمة من ذلك الضلال والإضلال، وجب التبرؤ من الأخذ عن الجهال وأغرار الناس، والانصراف إلى أهل العلم الذين يستحقون التصدير، والأخذ والتلقي عنهم.

**وإذا عرف الناس للعلماء منازلهم؛ أثمر ذلك ثمرات جليلة منها:**

1- أن تكون اعتقاداتهم وأعمالهم على وفق شرع الله -عز وجل- في الجملة؛ لأن العلماء بعلمهم أضاؤوا الطريق للسالكين، فدلوهم على الحق([[51]](#footnote-51)).

2- توحيد الصف واجتماع الكلمة؛ لأن الناس إذا لم يكن من يقودهم في العلم والعمل، تفرقوا وتشتت أمرهم، فإذا كانوا تبعاً لعلمائهم، توحّدَ صفهم، واجتمعت كلمتهم.

3- غياب كثير من أسباب الانحراف؛ إذ قد ثبت أن أهم موارد الانحراف عائد إلى الجهل، فإذا رجع الناس إلى العلماء، وصدروا عن أقوالهم، فقد غوَّروا منابع الانحراف، وقطعوا موارده، وقد عصمهم الله من الانحراف والزيغ؛ لائتمارهم بأمره سبحانه: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }[الأنبياء:7].

## ثانياً: حماية جناب العلماء من القدح والانتقاص:

إن القدح في العلماء والطعن فيهم سبيل من سبل أهل الزيغ والضلال، لأن الطعن في العلماء إنما هو طعن في الدين والدعوة التي يحملونها، والطعن في العماء محرم لأنهم داخلون في عموم قوله:" فإن أموالكم، ودماءكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا "([[52]](#footnote-52)).

ويكتسب الأمر مزيد حرمة لأنه وسيلة للطعن في الدين، وهذا مراد أهل الزيغ والانحراف الطاعنين في سلف الأمة وعلمائها التابعين لهم بإحسان، والطرق والأسباب معتبرة بالمقاصد تابعة لها.

يقول ابن القيم -رحمه الله-:( لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها؛ فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قصد الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل فإذا حرم الرب تعالى شيئا وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقاً لتحريمه، وتثبيتا له، ومنعا أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضا للتحريم، وإغراء للنفوس به، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء ) ([[53]](#footnote-53)).

ولما فقه السلف هذا جعلوا منتقص الصحابة زنديقاً؛ لما يفضي إليه هذا القول من الطعن في الدين وتنقص سنة سيد المرسلين --.

قال أبو زرعة -رحمه الله-:( إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله --فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول -- عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله -- وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة )([[54]](#footnote-54)).

وكذلك قال السلف فيمن طعن في العلماء واستخف بهم، بل عد لحومهم مسمومة.

قال الحافظ ابن عساكر -رحمه الله-:( واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته: إن لحوم العلماء -رحمة الله عليهم- مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق على من اختاره الله منهم لنشر العلم خلق ذميم )([[55]](#footnote-55)).

## ثالثاً: تقديم الأصلح والأنفع من أهل العلم في المنابر الإعلامية:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله --:"إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة" قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: "إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة "([[56]](#footnote-56)).

قال ابن تيمية -رحمه الله-:( ويقدم في ولاية القضاء: الأعلم الأورع الأكفأ؛ فإن كان أحدهما أعلم والآخر أورع؛ قدم - فيما قد يظهر حكمه ويخاف فيه الهوى - الأورع؛ وفيما يدق حكمه ويخاف فيه الاشتباه: الأعلم، ففي الحديث عن النبي -- أنه قال:" إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات" ) ([[57]](#footnote-57)).

 ( اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اللهم أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة. فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها. فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة؛ قدم أنفعهما لتلك الولاية: وأقلهما ضررا فيها )([[58]](#footnote-58)).

والعلم لا يؤخذ إلا من أهله، ويجب ألا يصدر للناس إلا الأكفياء المؤهلون.

قال ابن تيمية -رحمه الله-:( لا يجوز استفتاء إلا من يفتي: بعلم، وعدل )([[59]](#footnote-59)).

قال ابن القيم -رحمه الله-:( ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف: بالعلم والصدق.

فيكون عالماً بما يبلغ صادقاً فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضي السيرة، عدلاً في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله؛ وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات؟

فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعد له عدته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به؛ فإن الله ناصره وهاديه، وكيف هو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب فقال تعالى: { وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ }[النساء: 127] وكفى بما تولاه الله تعالى بنفسه شرفا وجلالة؛ إذ يقول في كتابه:{ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ }[النساء: 176] وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه، وليوقن أنه مسئول غدا وموقوف بين يدي الله )([[60]](#footnote-60)).

وإن آفة الأمر في تصدير غير الأكفياء ديانة أو علماً للتعامل مع هؤلاء الشباب تورث ردود فعل سيئة، فلا يعود هؤلاء الشباب يقبلون ممن يرونه غير مؤهل علماً، أو ديانة.

## المبحث الرابع:

## الأسس الأخلاقية في التعامل مع الشباب

## أولاً: الإخلاص:

إن إصلاح القصد، أساس لقبول الأعمال عند الله سبحانه، والمخلص يهيئ الله له القبول في قلوب عباده، فتثمر أعماله ثمرات جليلة، ولذلك جاء الأمر بالإخلاص في قول الله -عز وجل-:{ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ }[البينة:5].

وفي الحديث المشهور عن عمر بن الخطاب -- قال: سمعت رسول الله -- يقول:" إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما جاهر إليه "([[61]](#footnote-61)).

**والقصد الصالح هنا:** هو أن يبتغي المعالج للانحراف الفكري بعمله وجه الله والدار الآخرة، ويقصد الوصول إلى الحق، وإيصال الخلق إليه، وإعلاء كلمة الله في الأرض.

وأما المقاصد السيئة، فغير متناهية، منها: العلو في الأرض، أو المعاندة والمغالبة، أو طلب الدنيا، أو تسويغ ظلم واقع على طائفة من الناس.

ورحم الله أئمة الإسلام الذين جعلوا الإخلاص هدفهم، يقول ابن تيمية -رحمه الله- في سياق كلامه عن مناظرته لطائفة من المبتدعة:( وما أحببت البغي عليهم والعدوان ولا أن أسلك معهم إلا أبلغ ما يمكن من الإحسان )([[62]](#footnote-62)).

وقال -رحمه الله- في مقدمة رده على الأخنائي:( فأما ما فيه من الافتراء والكذب على المجيب، فليس المقصود الجواب عنه، وله أسوة أمثاله من أهل الإفك والزور، وقد قال الله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإثْمِ } [ النور:11].

بل المقصود الانتصار لله ولكتابه ولرسوله -- ولدينه، وبيان جهل الجاهل الذي يتكلم في الدين بالباطل وبغير علم.

فأذكر ما يتعلق بالمسألة وبالجواب، وليس المقصود أيضاً العدوان على أحد لا المعترض ولا غيره، ولا بخس حقه، ولا تخصيصه بما لا يختص به مما يشركه فيه غيره، بل المقصود: الكلام بموجب العلم والعدل والدين، كما قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[ المائدة: 8].

وليس -أيضاً- المقصود ذم شخص معين، بل المقصود بيان ما يذم وينهى عنه ويحذر عنه من الخطأ والضلال في هذا الباب، كما كان النبي -- يقول:" ما بال رجال يقولون، أو يفعلون كذا " فيذم ذلك الفعل، ويحذر عن ذلك النوع، وليس مقصوده إيذاء شخص معين، ولكن لما كان هذا صنف مصنفاً وأظهره وشهره، لم يكن بد من حكاية ألفاظه والرد عليه وعلى من هو مثله ممن ينتسب إلى علم ودين ، ويتكلم في هذه المسألة بما يناقض دين المسلمين، حيث يجعل ما بعث الله به رسوله كفراً ) ([[63]](#footnote-63)).

وأمر الإخلاص دقيق؛ إذ قد يكون مأخذ المرء مأخذاً دقيقاً، صرفه عن الإخلاص إلى ضده، فقد يريد الانتصار لنفسه من قوم كفروه، فيعالج القضية بأن يكفرهم ويظلمهم. وإذا حسن قصد المرء، رحم الخلق وصبر على ظلمهم ابتغاء وجه الله -عز وجل- ( وكل ما أوجب فتنة وفرقة فليس من الدين، سواء كان قولاً أو فعلاً، ولكن المصيب العادل عليه أن يصبر عن الفتنة، ويصبر على جهل الجهول، وظلمة إن كان غير متأول.

وأما إن كان ذاك أيضاً متأولاً فخطؤه مغفور له، وهو فيما يصيب به من أذى بقوله، أو فعله له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له، وذلك محنة وابتلاء في حق ذلك المظلوم )([[64]](#footnote-64)).

## ثانياً: العلم:

إن المعالج للانحراف الفكري، يتصدى لمشكلة متعددة الجوانب، ولا يمكن أن يعالج هذه القضية ما لم يكن مؤهلاً بالعلم بالمشكلة وجوانبها، قادراً على رد شبه المنحرفين.

وقد ذم الله -عز وجل- الذين يجادلون في الله بغير علم، فقال سبحانه:{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ} [الحج:3] وقال:{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ} [الحج:8].

قال القرطبي -رحمه الله-:( في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده )([[65]](#footnote-65)).

وقال ابن تيمية -رحمه الله-:( ويجب أن يعلم أن الأمور المعلومة من دين المسلمين لا بد أن يكون الجواب عما يعارضها جواباً قاطعاً لا شبهة فيه، بخلاف ما يسلكه من يسلكه من أهل الكلام.. فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين )([[66]](#footnote-66)).

وفي الغالب أن صاحب الانحراف الفكري قد يكون قديراً على المجادلة والمحاورة، والحجة فيما انحرف فيه، فحين يتصدى له امرؤ على الحق، وليس عنده قدرة علمية، فذلك مؤذن بفتنة الاثنين، فيظن المنحرف أن الحق معه حجة مناظره، ويشكك المحاور في الحق الذي معه؛ لما سمع من الشبه، فالواجب أن تكون هناك عناية خاصة في معالجة من يُظن أنه صاحب شبه وحجة فيما هو عليه.

قال ابن حجر -رحمه الله- في الكلام عن حديث معاذ بن جبل -- حين بعثه النبي-- فقال له:" إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب "([[67]](#footnote-67)) فقال:( هي كالتوطئة للوصية، لتستجمع همته عليها؛ لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم، كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان )([[68]](#footnote-68)).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – مبيناً عاقبة تصدي بعض جهلة المعتزلة للرد على الزنادقة:( والعجب من قوم أرادوا بزعمهم نصر الشرع بعقولهم الناقصة وأقيستهم الفاسدة، فكان ما فعلوه مما جرأ الملحدين أعداء الدين عليه، فلا الإسلام نصروا، ولا الأعداء كسروا )([[69]](#footnote-69)).

والقضية في العلم نسبية، تختلف باختلاف الناس واختلاف القضايا، المطروحة، فإن كان الانحراف في أمر ظاهر المأخذ، يمكن لطالب العلم المبتدئ الدخول في معالجته، ساغ ذلك؛ ومتى ما كانت القضية تحتاج إلى علم وجب التوقف إلا لمن عنده علم.

قال النووي – رحمه الله -:( إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به، وينهى عنه وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام، والزنا والخمر ونحوها، فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، ومما يتعلق بالاجتهاد، لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء ) ([[70]](#footnote-70)).

والعلم يشمل مع العلم بنصوص الشريعة وأحكامها، العلم بالواقع وظروفه وملابساته، والعلم برتب المصالح والمفاسد.

ذلك أن المرء قد يعالج انحراف المنحرف، فلعدم فقهه بالمصالح والمفاسد، يوقع صاحب الانحراف الفكري في أمر أعظم مما كان فيه.

ومن تطبيقات هذا: مسألة الهجر بحسبانه أسلوباً من أساليب العلاج، فالهجر حين يوضع في غير موضعه، قد يوقع صاحب الانحراف في أمر أشد مما كان فيه.

قال الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله-:( الأصل هجر المبتدع لكن ليس عاماً في كل حال، ومن كل إنسان ولكل مبتدع، وترك الهجر والإعراض عنه بالكلية ، تفريط على أي حال، وهجر لهذا الواجب الشرعي المعلوم وجوبه بالنص، والإجماع، وأن مشروعية الهجر هي في دائرة ضوابطه الشرعية المبنية على رعاية المصالح ودرء المفاسد، وهذا مما يختلف باختلاف البدعة نفسها، واختلاف مبتدعها، واختلاف أحوال الهاجرين، واختلاف المكان والقوة والضعف، والقلة والكثرة، وهكذا من وجوه الاختلاف والاعتبار التي يرعاها الشرع )([[71]](#footnote-71)).

## ثالثاً: التوازن والرجوع إلى الوسطية:

إنه حين معالجة الانحراف الفكري، ينزع الناس في أحيان كثيرة إلى الانحراف المقابل، فالماديون المنحرفون حين يوغلون في المادية، يصل بهم الأمر إلى أمراض الإيغال في المادية، من مثل: القلق والاكتئاب، والفراغ الروحي، ينتقلون إلى انحراف فكري مقابل وهو الإيغال في الجانب الروحي، فيفرون إلى الرياضات الروحية، وتعذيب النفس، والتقشف الشديد.

ولقد شهدت البشرية في تاريخها ألواناً من ذلك، فحين قامت الثورة الفرنسية الكبرى، على الحكم النصراني الديني، صار الناس إلى العلمانية، فنبذوا الدين، وتحللوا من القيم.

وحقيقة الأمر أن هؤلاء الفارين من الانحراف، صاروا إلى انحراف مقابل، وهذا الأمر الذي وقع من الناس بعامة، وقعت فيه فئام من هذه الأمة.

ذلك أن ( جماع الشر: تفريط في حق، أو تعد إلى باطل، وهو تقصير في السنة، أو دخول في البدعة، كترك بعض المأمور، وفعل بعض المحظور، أو تكذيب بحق، وتصديق بباطل.

 ولهذا عامة ما يؤتى الناس من هذين الوجهين: فالمنتسبون إلى أهل الحديث والسنة والجماعة يحصل من بعضهم تفريط في معرفة النصوص، أو فهم معناها، أو القيام بما تستحقه من الحجة، ودفع معارضها، فهذا عجز وتفريط في الحق، وقد يحصل منهم دخول في باطل، إما في بدعة ابتدعها أهل البدع، وافقوهم عليها، واحتاجوا إلى إثبات لوزامها، وإما في بدعة ابتدعوها هم لظنهم أنها من تمام السنة )([[72]](#footnote-72)).

قال ابن القيم -رحمه الله-:( ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد)([[73]](#footnote-73)).

ولقد تميز الإسلام بأنه دين الوسطية والاعتدال، والمسلمون بذلك هم الأمة الوسط يقول الله تعالى:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[ البقرة: 143].

قال الطبري -رحمه الله-:( وأرى أن الله -تعالى ذكره- إنما وصفهم بأنهم وسَط، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها )([[74]](#footnote-74)).

والصراط المستقيم هو الوسطية التي هي سمة هذه الأمة، فإن الله - عز وجل- علمنا أن ندعوه أن يرزقنا الهداية إلى الصراط المستقيم، ويسلمنا من الانحراف بعامة.

يقول الله تعالى:{ اهدنا الصراط المستقيم (6) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين }[ الفاتحة: 6- 7 ].

إنه دعاءٌ بالتزام الوسطية والحذر من طرفيه المنحرفين: طرف الغضب، وطرف الضلال.

 ( ولما أمرنا الله سبحانه: أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، المغايرين للمغضوب عليهم، وللضالين، كان ذلك ما يبين أن العبد يخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين )([[75]](#footnote-75)).

ولما كانت الوسطية أمر نسبي كل يدعيه وينسبه لنفسه، ويزعم أحقيته بهذا الوسم واللقب، وغيره إما: غالٍ منحرف، وإما مفرط منحرف، أشار القرآن إلى المعيار الذي يحدد الوسطية، إنه النبي -- حيث قال تعالى:{ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }[البقرة: 143] فهو -- الحكم.

وقد بين المعيار الدقيق في ذلك حين قال --:" أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن أمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة "([[76]](#footnote-76)).

فسنة النبي -- وسنة خلفائه الراشدين -رضي الله عنهم- هما الوسط، فكل من قرب منهما كان أقرب إلى الاعتدال والوسطية، وما زاد عليهما يعد منحرفاً، وكذلك من قصر عنهما يكون منحرفاً أيضاً.

لذا كان سلف الأمة الصالح أعرف الناس، وأحرصهم على التزام الوسطية لحرصهم على التزام سنة النبي -- وصحابته الأطهار يشهد على ذلك سيرتهم وحياتهم وآثارهم العلمية والدعوية.

إن الوسطية التي تميز بها الإسلام عما سواه من الأديان هي ( العدل ) وهذا هو المراد بقوله تعالى:{ أُمَّةً وَسَطًا }[ البقرة: 143] أي: عدولاً خياراً.

وهو محل اتفاق بين أهل العلم.

قال الطبري -رحمه الله-:( وأما الوسط، فإنه في كلام العرب: الخيار، يقال منه: فلان وسط الحسب في قومه، أي: متوسط الحسب؛ إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه ) وأضاف: ( الوسط العدل، وذلك معنى الخيار؛ لأن خيار الناس عدولهم )([[77]](#footnote-77)).

وقد كثرت وصايا السلف بأهمية الوسطية والاعتدال، والبعد عن الانحراف إلى بنايات الطريق.

فعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- قال:( اتقوا الله يا معشر القراء، خذوا طريق من كان قبلكم، والله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً )([[78]](#footnote-78)).

وكتب عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- إلى عامل من عماله، فقال بعد أن أوصاه بلزوم طريق من سلف:( ما دونهم من مقصر، وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم )([[79]](#footnote-79)).

إنه ابتغاء تحقيق التوازن في معالجة الانحراف الفكري، لا مناص من الرجوع فيه إلى الوسطية التي هي سمة الدين، ولا بد من التوازن في تلك المعالجة.

**وهنا جملة ملاحظ، تعين على تصور جوانب الموضوع([[80]](#footnote-80)):**

**الملحظ الأول:** لقد تبين من دراسة الأسباب، أن هناك جانبين لا بد من العلم بهما لفهم أسباب حدوث المشكلة:

**الجانب الأول:** العوامل الداخلية المتعلقة بمن وقع في الانحراف الفكري.

**الجانب الثاني:** العوامل الخارجية.

 فهناك رد فعل لعوامل خارجية وافق أرضية قابلة لحدوث الغلو.

 وإن عدم فهم هذين الجانبين للمشكلة، وهما:

1- الأفعال الشاذة الموجدة لردة الفعل. 2- القابلية للانحراف عند المنحرفين.

 أوجد خللاً في فهم المشكلة، وفهم هذا مع عدم مراعاته في التطبيق أدى إلى الخلل في التقويم والعلاج.

وفي الجملة فإن مشكلة الانحراف الفكري تأتي في سياق جملة من المشكلات، فالتوازن يقتضي حل تلك المشكلات جميعاً.

ويلاحظ هنا أن هذا القول لا يراد به تسويغ أيٍّ من الانحرافات المتقابلة، بل هو تفسير للمشكلة، وبيان لسبيل علاجها الناجح، فلا يسوَّغُ انحراف الغلاة مثلاً في مقابل انحراف الجفاة، ولكن يخاطب المبتغون للعلاج ليوازنوا في المعالجة، فيقصدوا علاج الأمرين جميعاً.

**الملحظ الثاني:** إن من العدل أن نضع الأمور في نصابها، فنفرق مثلاً بين مطلق الانحراف، والانحراف المطلق.

ذلك أن المتتبع لألفاظ الشارع، يجد أن الأسماء التي يسمى بها المنحرف عن شرع الله، لا تطلق إطلاقاً عاماً، بل يختلف الأمر بحسب اختلاف درجة الانحراف، فإن كان كبيراً ساغ وصف صاحبه به وتسميته به تسمية مطلقة. وإن كان الانحراف أقل من ذلك لم يسغ تسميته به إلا مع التقييد بقول أو عمل.

فمثلاً: لا يصح إطلاق وصف الغلو، فيقال: فلان غال، أو الجماعة الفلانية غالية إلا إذا كان غلوه وانحرافه أو غلوها وانحرافها في أمر أصلي من الدين، سواء في أصول الاعتقاد أم في أصول العمل.

إن إطلاق اسم الغلو دون انتباه إلى هذا التقسيم تجوز في العبارة، يتلوه تعميم في الحكم، وهو نظير ما يتهم به الغلاة من تعميم إطلاق اسم الكفر والفسق دون رجوع للضوابط الشرعية.

**الملحظ الثالث:** إن المتأمل في الطروحات التي عالج بها أقوام الانحراف الفكري، يجد أن المعالجين قد وقعوا في نظير ما اتهموا به المنحرفين، فتجد من المعالجين من يشنع على المنحرفين لمصادرتهم آراء الآخرين، حتى ولو كانوا مجتهدين، وتعصبهم لآرائهم، ثم يشنع ويصادر بعض آراءهم التي أصابوا فيها الحق.

**الملحظ الرابع:** إن من التوازن الذي يجب أن يدعى إليه في معالجة الانحراف الفكري، التوازن بجعل الأمور في نصابها من جهة تحديد الانحراف والمنحرفين؛ إذ جعل بعض الناس محاربة الانحراف الفكري تكأة لمحاربة الدين ذاته.

**الملحظ الخامس:** إن الانحراف الفكري عند المسلمين يأتي في سياق ألوان من " التطرف " في المذاهب والأديان الأخرى، فمن التوازن أن يوضع الأمر في نصابه، فقد أثبتت الدراسات الإحصائية، أن الانحراف الفكري عند المسلمين أقل منه عند غير المسلمين، بل الانحراف الفكري عند غير المسلمين يصدر عن دول وجمعيات، والانحراف الفكري لدى المسلمين في الغالب صادر عن أفراد.

**الملحظ السادس:** إن التصدي لهذه المشكلة، يجب أن يكون مقدراً بقدرها، فلا ينزع إلى أي من الجانبين: التهوين، أو التهويل.

إذ يلاحظ أن هناك من يهوِّن المشكلة ويعدها يسيرة؛ لأنها مشكلة أفراد معدودين، فيعالجها بناء على ذلك معالجة سطحية، وهناك من يهول المشكلة ويضخّمها؛ ليسوغ بعض الأفعال القوية في معالجتها، فيقول: إن قوة وسائل المعالجة هو بقدر قوة المشكلة ذاتها.

كما يجب ألاَّ يتعامل مع القضية بحسبانها لوناً واحداً، فإن الانحراف الفكري يتفاوت باعتبارات متعددة.

ومن الأمثلة على ذلك: أن من المنحرفين من يكفر عامة أهل الإسلام، ومنهم من يكفر طائفة منهم لشبهة أو تأويل، فأمر المكفِّر للعموم أشد من أمر المكفِّر لطائفة من الناس.

**الملحظ السابع:** إن الظلم لا يقابل بظلم، والخطأ لا يقابل بخطأ، فلا يكفر أهل الانحراف الفكري بذلك، حتى وإن كفّروا غيرهم، ما لم يأتوا مكفِّراً من المكفرات، فمن الخطأ مقابلة التكفير بالتكفير، كما أنه من الخطأ مقابلة أهل الانحراف الفكري بإطلاق العبارات القوية المنفرة عليهم فذلك مما يزيدهم تشبثاً بما هم عليه.

**الملحظ الثامن:** إن من فقدان التوازن في معالجة انحراف المجتمع: الازدواجية، بأن ينظر - مثلاً- إلى جانب من جانب الانحراف العملي، ولا ينظر إلى انحرافات عقدية أو عملية أخطر وهي من قبيل التفلت من الدين.

**الملحظ التاسع:** إن من التوازن: التفريق بين أحوال المنحرف أو المخطئ ومعاملته في كل حال بحسبها.

إن هذه الملاحظ تظهر مدى الحاجة إلى تحقيق التوازن في معالجة الانحراف الفكري وأن لا يكون المعالج -نفسه- نهباً للتيارات في المخالفة لدين الله عز وجل وشرعه.

**إن تحقيق التوازن في المعالجة، له فوائد عديدة، فمنها:**

1- السلامة من الانحرافات المتقابلة، فحتى لا يبقى الفرد والمجتمع في تقلبات بين التيارات المختلفة، كان من الواجب بيان الأمر الوسط الذي هو الحق، ومن ثم رد الناس جميعاً إليه.

2- كسب ثقة المُعالجَ. ذلك أنه إذا علم أنك في الجهة المقابلة لانحرافه، لم يأبه بما تقول؛ لأنه يرى الانحراف ظاهراً، لكنه حين يعلم أنك تقف على الحق تكسب ثقته، ويراك أهلاً لأن يقبل نصحك.

3- الوصول إلى نتيجة المعالجة. وهي سلامة المنحرف من انحرافه، وتحصين المجتمع من ذلك الانحراف الفكري.

## رابعاً: الحرص على هداية الشباب وحمايتهم:

وهذا مستفاد من منهج النبي -- في دعوته للخلق ففي جانب الحرص نجد قوله تعالى:{ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } [ النحل:37].

قال الشنقيطي -رحمه الله -: ( ذكر جل وعلا في هذه الآية أن حرص - - على إسلام قومه لا يهدي من سبق في علم الله أنه شقي )([[81]](#footnote-81)).

وقوله سبحانه: { وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ }[النحل:127].

قال الشنقيطي -رحمه الله-:( الصحيح في معنى هذه الآية الكريمة أن الله نهى نبيه - - عن الحزن على الكفار إذا امتنعوا من قبول الإسلام.

ويدل لذلك كثرة ورود هذا المعنى في القرآن العظيم كقوله: {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ}[النحل:127] وقوله: {فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ} [فاطر: 8] وقوله: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: 3] وقوله: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف: 7] وقوله: { وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }[المائدة:68] إلى غير ذلك من الآيات.

والمعنى قد بلغت، وليست مسؤولاً عن شقاوتهم إذا امتنعوا من الإيمان، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب، فلا تحزن عليهم إذا كانوا أشقياء )([[82]](#footnote-82)).

وما نهي -عليه الصلاة والسلام- عن الحزن عليهم إلا لفرط حرصه، وحبه لهداية الخلق.

وأكد -- على حرصه على الخلق وإبعادهم عن كل ما يحميهم من النار حين قال: " مثلي ومثلكم، كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي "([[83]](#footnote-83)).

وفي رواية: " مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه، فيتقحمن فيها. قال: فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني تقحمون فيها "([[84]](#footnote-84)).

قال ابن حجر – رحمه الله -: ( وفي الحديث ما كان فيه-- من الرأفة والرحمة والحرص على نجاة الأمة كما قال تعالى:{ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 128]) ([[85]](#footnote-85)).

وعن أبي موسى – رضي الله عنه - عن النبي-- قال: " إن مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قومه، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني، واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني، وكذب ما جئت به من الحق "([[86]](#footnote-86)).

قال النووي -رحمه الله- على هذا الحديث:( باب شفقته -- على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم.

 قوله --: " أنا النذير العريان" قال العلماء أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة، نزع ثوبه وأشار به إليهم، إذا كان بعيداً منهم؛ ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم وهو طليعتهم ورقيبهم.

قالوا: وإنما يفعل ذلك؛ لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظراً، فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو ) ([[87]](#footnote-87)).

إن هذا الحرص إذا امتلأت به القلوب، قلوب أهل العلم شدوا مطاياهم لنفع الخلق، وبذلوا أوقاتهم وأعمارهم في سبيل ذلك.

ومن قرأ تأريخ علماء الإسلام وتراجمهم رأى من حرص العلماء وبذلهم الخير للناس ما لا يعرف مثله في تاريخ أمة من الأمم.

## خامساً: الرحمة والشفقة لهؤلاء الشباب:

وهذا أيضاً مستفاد من منهج النبي- - في دعوته للخلق فقد كان تام الرحمه والشفقه للخلق ، وهذا ثابت بنص الذكر الحكيم، ومن ذلك قوله تعالى:

 1- { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }[ آل عمران: 159].

قال القرطبي -رحمه الله -:( وغلظ القلب عبارة عن تجهم الوجه وقلة الانفعال في الرغائب، وقلة الإشفاق والرحمة ) ([[88]](#footnote-88)).

قال ابن سعدي -رحمه الله -:( أي برحمة الله لك ولأصحابك منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك { وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً } أي سيئ الخلق { غَلِيظَ الْقَلْبِ } أي قاسيه { لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ.

فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدنيا تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص.

والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول فكيف بغيره أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما كان يعاملهم به -- من اللين وحسن الخلق، والتأليف؛ امتثالاً لأمر الله وجذبا لعباد الله لدين الله ) ([[89]](#footnote-89)).

2- وقوله أيضاً:{ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ }[ التوبة:128].

قال ابن سعدي -رحمه الله -:( يمتن تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له وهو -- في غاية النصح لهم والسعي في مصالحهم{ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ } أي يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم { حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ } فيحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان ويكره لكم الشر ويسعى جهده في تنفيركم عنه { بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } أي شديد الرأفة والرحمة بهم أرحم بهم من والديهم، ولهذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه وتوقيره وتعزيزه ) ([[90]](#footnote-90)).

وجاءت سيرته وشمائله - - متماشية مع هذه الحقيقة القرآنية، والمنحة الإلهية للخلق بأن جعل هذا النبي الخاتم- - رحمة مهداة للعالمين.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - -: " يا أيها الناس ! إنما أنا رحمة مهداة " ([[91]](#footnote-91)).

 وهي صفة متقررة؛ حتى في كتب أهل الكتاب كالتوراة، فعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قلت: أخبرني عن صفة رسول الله -- في التوراة، قال: ( أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } [الأحزاب: 45] وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله؛ حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عمياً، وآذانا صماً، وقلوبا غلفاً ) ([[92]](#footnote-92)).

إن طوائف من هؤلاء الشباب ذوي مقاصد حسنة، وغيرة محمودة، لكنها لم تزم بزمام الشرع، وربما صحب قولهم أو عملهم عنادٌ وتعالٍ أفضت إلى الوحشية منهم، ومن كان قلبه عامراً بالرحمة لم يزل مقيماً على نفعهم حريصاً على هدايتهم مهما بلغوا من انتقاص ذوي الأقدار، أو ظهر منهم من الاغترار.

## المبحث الخامس:

## الأسس العملية في وقاية الشباب من الانحراف

## أولاً: نشر العلم الشرعي:

إن كثيراً من أسباب الانحراف الفكري، تعود إلى الجهل، فالجهل أساس من أسس الانحراف، ولقد أمرنا بطلب العلم ونشره؛ لأن العمل لا يكون إلا بعلم.

قال الله - عز وجل-:{ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ } [الأنبياء:7].

قال الشيخ ابن سعدي -رحمه الله-:( وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل، فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة ) ([[93]](#footnote-93)).

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله--:" طلب العلم فريضة على كل مسلم "([[94]](#footnote-94)).

وعن معاوية – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله --: " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين "([[95]](#footnote-95)).

قال النووي -رحمه الله-:( فيه فضيلة العلم، والتفقه في الدين، والحث عليه، وسببه أنه قائد إلى تقوى الله تعالى ) ([[96]](#footnote-96)).

والمراد بالعلم المأمور به في نصوص الشريعة: العلم الشرعي، علم الكتاب والسنّة.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-:( والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص ) ([[97]](#footnote-97)).

وإذا كان العلم الممدوح هو علم الكتاب والسنّة، فإن أسعد الناس به هم سلف الأمة.

قال ابن رجب الحنبلي -رحمه الله-:( فالعلم النافع من هذه العلوم كلها: ضبط نصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام، والزهد والرقائق والمعارف وغير ذلك.

والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولاً، ثم الاجتهاد على الوقوف في معانيه وتفهمه ثانياً، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع عني واشتغل.

ومن وقف على هذا، وأخلص القصد فيه لوجه الله -عز وجل- واستعان عليه أعانه وهداه ووفقه، وسدده وفهمه وألهمه، وحينئذ يثمر له هذا العلم ثمرته الخاصة به: وهي خشية اللَه كما قال -عز وجل-:{ إِنَّما يَخشى اللَهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ } [فاطر:28] ) ([[98]](#footnote-98)).

والعلم يمكن أن يتلقى عن أهله من العلماء في حلقات العلم في المساجد ونحوها، كما يمكن أن يتلقى بالطرق النظامية المعاصرة في المعاهد الشرعية وفي كليات الشريعة وأصول الدين والدعوة ونحوها، من الكليات والمعاهد التي تُعنى بالعلوم الشرعية.

وإن من الواجب تهيئة سبل العلم للناس، وإعداد الدعاة إعداداً قوياً من الناحية العلمية، إعداداً مبكراً منذ المراحل الدراسية الأولى، كما يركز على المدارس العامة والكليات غير المتخصصة في الدراسات الشرعية فتعطى قدراً من العلوم الشرعية يحقق لعموم أفراد المجتمع السلامة من الجهل والانحراف.

إنه إذا تحقق نشر العلم الشرعي، فذلك مؤذن بالبعد عن كل ألوان الانحراف، وأشكال البعد عن دين الله.

## ثانياً: نشر مذهب السلف:

**السلف هم:** السابقون، فسلف الأمة هم الصدر الأول من صحابة رسول الله -- ومن سلك سبيلهم، وبخاصة أهل القرون المفضلة.

و( المراد بمذهب السلف: ما كان عليه الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو شُهر بلقبٍ غير مرض، مثل: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، والكرامية، ونحو هؤلاء )([[99]](#footnote-99)).

إن الانحراف حين كثر، وأطلت الفتن، وظهرت الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة، احتاج أهل السنة إلى إظهار مذهب السلف، فكان أهل العلم وأئمة الهدى، ينصون على أن قولهم في مسائل الاعتقاد تابع لقول السلف.

قال الإمام أحمد -رحمه الله-:( هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها المقتدي بهم فيها من لدن أصحاب النبي -- إلى يومنا هذا، وأدركت عليها من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع، وخارج عن الجماعة، زايل عن منهج السنة وسبيل الحق )([[100]](#footnote-100)).

وقد ألف أئمة أهل السنة المتقدمون مؤلفات كثيرة، رووا فيها بالأسانيد الأحاديث والآثار المتعلقة بمسائل الاعتقاد، فأقاموا الحجة، وبينوا المحجة، وقطعوا العذر، وعلى ذلك جرى التابعون لهم من العلماء المقتدى بهم، فألفوا وعلموا ، فتناقل أهل الحق كلامهم بالأسانيد ، و" يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين "([[101]](#footnote-101)).

قال ابن القيم-رحمه الله-:( فأخبر أن الغالين يحرفون ما جاء به، والمبطلون ينتحلون بباطلهم غير ما كان عليه، والجاهلون يتأولونه على غير تأويله وفساد الإسلام من هؤلاء الطوائف الثلاثة فلولا أن الله تعالى يقيم لدينه من ينفي عنه ذلك لجرى عليه ما جرى على أديان الأنبياء قبله من هؤلاء )([[102]](#footnote-102)).

واليوم إذ ظهرت الانحرافات في المجتمعات المسلمة عن منهج أهل السنة والجماعة، ومنها الغلو، كان لزاماً على كل من تأهل علمياً، استفراغ الوسع في نشر مذهب أهل السنة والجماعة، ويكون ذلك بوسائل متعددة:

**1 - التأليف والنشر:** بأن تكتب الكتب المناسبة للغة الزمان وأهله، في بيان معتقد أهل السنَّة والجماعة، وتنشر تلك الكتب على نطاق واسع، وبلغات مختلفة؛ حتى يعرف الحق من كان يجهله، وأن تنشر كتب الأئمة المتقدمين، والعلماء التابعين لهم، وتوسع دائرة نشرهاـ وتترجم بلغات مختلفة.

**2 - التعليم:** وذلك بأن تتبنى دور العلم ومؤسساته منهج أهل السنَّة والجماعة، فيعلم الطالب من صغره عقيدة السلف، ويتابع ذلك بتعليم طلاب الجامعات والمعاهد العليا عقيدة أهل السنَّة والجماعة.

**3 - وسائل التوجيه والتأثير:** وذلك بأن تتبنى وسائل الإعلام نشر عقيدة السلف والدعوة إليها، وإشاعة ذكر السلف، وأقوال السلف بين الناس.

ويكون نشر هذه العقيدة السلفية متفاوتاً في النوع والمقدار بحسب طبقات الناس.

## ثالثاً: المناصحة والموعظة الحسنة:

إن من حق المسلم على المسلم: بذل النصح له.

ففي حديث جرير بن عبد الله -رضي الله عنه- قال:" بايعت رسول الله --: على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم "([[103]](#footnote-103)).

وعن تميم الداري -رضي الله عنه- أن رسول الله -- قال:" الدين النصيحة " قلنا لمن؟ قال:" لله، ولكتابه ، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم "([[104]](#footnote-104)).

فمن حق المسلم على أخيه أن ينصحه إن رأى منه انحرافاً، أو معصية، أو غلواً، أو ابتداعاً ، ولقد نصح النبي -- بعض أصحابه حين وقع في لون من ألوان الغلو وأمره بترك ذلك العمل.

فمن ذلك حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -- يسألون عن عبادة النبي -- فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي -- قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول اللَّه -- فقال:"أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي، فليس مني! "([[105]](#footnote-105)).

وفي سير السلف من الصحابة فمن بعدهم شواهد كثيرة من أقوالهم وأحوالهم وأورد لذلك مثالين:

**الأول:**

عن عبد الواحد بن صبرة قال: بلغ ابن مسعود -رضي الله عنه- أن عمرو بن عتبة في أصحاب له بنوا مسجداً بظهر الكوفة، فأمر عبد الله بذلك المسجد فهدم، ثم بلغه أنهم يجتمعون في ناحية من مسجد الكوفة، يسبحون تسبيحاً معلوماً، ويهللون ويكبرون، قال: فلبس برنساً، ثم انطلق فجلس إليهم ، فلما عرف ما يفعلون رفع البرنس عن رأسه ثم قال: أنا أبو عبد الرحمن، ثم قال: لقد فضلتم أصحاب محمد -- علماً، أو لقد جئتم ببدعة ظلماً.

قال: فقال عمرو بن عتبة: والله، ما فضلنا أصحاب محمد -- علماً، ولا جئنا ببدعة ظلماً، ولكننا قوم نذكر ربنا، فقال: بلى والذي نفس ابن مسعود بيده، لئن أخذتم آثار القوم لتسبقن سبقاً بعيداً، ولئن حرتم يميناً أو شمالاً؛ لتضلن ضلالاً بعيداً ([[106]](#footnote-106)).

**الثاني:**

عن أبي اليقظان أن رجلاً من المسلمين أتى عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- لقد حيّرت الخصومة عقله، وأذهبت المنازعة قلبه، وذهبت به الكلفة عن ربه، فقال عبد الله: امدد بصرك يا ابن أخي ما السواد الذي ترى؟ قال: فلان، قال: صدقت، قال: فما الخيال المسرف من خلفه؟ قال: لا أدري، قال عبد الله: يا ابن أخي فكما جعل الله لأبصار العيون حدّاً محدوداً من دونها حجاباً مستوراً، فكذلك جعل لأبصار القلوب غاية لا يجاوزها، وحدوداً لا يتعدّاها، قال: فردّ الله عليه غارب عقله، وانتهى عن المسألة عما لا يعنيه، والنظر فيما لا ينفعه، والتفكر فيما يحيِّره([[107]](#footnote-107)).

وأول من يخاطب بالمناصحة لمن وقع في الانحراف الفكري المتصلون بالواقع في ذلك الانحراف العارفون بحاله، من أهل وجيران وإمام مسجد، وزميل دراسة وأستاذ ونحوهم، فهؤلاء أعرف بأحوال المرء، وأقدر على موعظته وتخويفه بالله، وبذل النصح له.

فالمناصحة سبيل من سبل المعالجة؛ حتى وإن لم ينتفع المنحرف بالنصح، فإن الناصح قد بذل الواجب، وأعذر إلى ربه{ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ }[الأعراف: 164].

## رابعاً: كشف الشبهات ومعالجتها:

إن كشف الشبهات ومعالجتها مهمة أهل العلم، فقد آتاهم الله من العلم والنور ما يبين الحق([[108]](#footnote-108)).

ومعظم من وقع في الشبهات من شبابنا وأبنائنا، إنما اعتقدوا الحق تقليداً وسماعاً لآبائهم ومجتمعهم.

وربما أخذوا اعتقادهم مما درسوه من مقررات دراسية عُلِّموا فيها الحق، ودرسوا شيئاً مما يقابله، ولم يصلوا إلى الفهم للنصوص فهم المجتهد الذي يحقق مسائل العلم، ويفقه دلائلها.

وهم إلى ذلك: أهل فطنة وذكاء، فوصلوا إلى نصوص وأقوال عبر شبكة المعلومات ( الإنترنت ) أو غيرها، فسمعوا قولاً غير الذي سمعوه، وربما لبس عليهم أقوام تحسن حديثهم وتشقيقهم للمسائل، فغرهم من القول لباسه فعلقت بقلوبهم أقوال ضالة، وربما أسهم الواقع التربوي أو الظروف العالمية، بل والأحوال النفسية في قبول تلك الشبهات، فعلقت بقلوبهم.

وربما أصبحوا بتلك القراءات والسماعات غير المنضبطة نهباً لإشكالات تشككهم في عقائدهم، وربما زلزلت طمأنينتهم النفسية، وأورثتهم قلقاً واضطراباً.

ولقد كان السلف يحذرون من تصدي الناس إلى شبه أهل الضلال.

يقول أبو قلابة -رحمه الله-:( لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون )([[109]](#footnote-109)).

فهؤلاء يجب التلطف بهم في المعالجة والرفق بهم ورحمتهم.

ويمكن إجمال القول في سبل معالجة شبهاتهم فيما يلي:

**1- إعادة طمأنيتهم:** فمن عرف من هؤلاء رأى ما هم فيه من قلق واضطراب وهم مقيم، فإذا كان سعي المعالج لإعادة طمأنيتهم كسب قلوبهم.

وإعادة الطمأنينة هي بإعادة القلق المضطرب إلى اليقين، فليس أمكن في القلوب منه، والنبي -- في معالجة لأحوال بعض الناس أعادهم إلى مالا يمكن لهم صدّه أو ردّه، فإذا عادوا إلى ذلك الحق قرت أعينهم، ففي الحديث أن فتى شاباً أتى النبي -- فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه، فزجروه، قالوا: مَهْ مَهْ فقال:" ادنه " فدنا منه قريباً قال: فجلس، قال:" أتحبه لأمك؟" قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال:" ولا الناس يحبونه لأمهاتهم " قال: " أفتحبه لابنتك؟ " قال: لا والله، يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: " ولا الناس يحبونه لبناتهم " قال:" أفتحبه لأختك؟ " قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال:" ولا الناس يحبونه لأخواتهم " قال: " أفتحبه لعمتك؟" قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال:"ولا الناس يحبونه لعماتهم " قال:" أفتحبه لخالتك؟" قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال:" ولا الناس يحبونه لخالاتهم " قال: فوضع يده عليه، وقال:" اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه " فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء([[110]](#footnote-110)).

يلحظ هنا استخدام اللين في الحوار، فمع غرابة الطلب واستهجانه، إلا أننا نجد أن النبي قد استوعب هذا الشاب، فلم يعنفه أو يهمل سؤاله.

فكانت المبادرة لاكتشاف طبيعة الشاب وأنه صاحب غيرة، فاستمر النبي-- في نفس السياق فالمزني بها لا تخلو من الأنواع السابقة، ويلحظ في الحوار أنه مباشر ( أمك، خالتك، أختك، ابنتك ) ليكون وقع بغض الزنا أشد على الطالب.

فلما فند -- هذه الشبهة، وضع يده عليه وذلك له أثر، يُشعر بمزيد عناية واهتمام بالسائل.

ومثل هذا في أبواب الانحراف الفكري يقع، ويحتاج الشباب إلى من يكشف شبهته بلطف.

**2- إماطة شكوكهم بما أمكن:** من الكلام المقنع المقبول عندهم، وربما كان ذلك الكلام ليس في موضع الشبهة، وإنما في نظيرها.

3- قراءة نصوص محكمة من التنزيل ( كتاباً، وسنّة ): فلا يزال في قلوب أمثال هؤلاء تعظيم النص ومعرفة قدره، وللنصوص قوة وسيطرة على القلوب، فرب مثلاً ضربه الله تعالى في القرآن الكريم صدّع قلب سامعه؛ لقوته وظهور حجته.

**4- ذكر نصوص منقولة عن مقدمين في الناس ممن اشتهروا بالفضل والعلم:** فإن قلوب الخلق لم تزل منعقدة على معرفة أقدار بعضهم بعضاً، وقد أورث الله بعض الناس هيبة وسلطاناً على القلوب حجة وإجلالاً، ولو تباعد عهدهم، لما قام في قلوبهم من الصدق مع الله والنصح لعباده، ولربما كان النقل عن مثل هذا العَلَم في الناس قطعاً لغوائل الشر، ونوابت الشبهة في القلب.

**5- معالجة تفكيره بما يناسب حاله:** إن من هؤلاء من كانت آفته من أمر لا يصح الدخول معه في تفاصيله المنهجية التي لا يمكنه فهمها، ولا يصل إلى كنتها ولكن عند التسليم له بقوله، وجره إلى نظيره يعرف عوار قوله.

إنك لو تكلمت مع مستدل بآية على غير وجهها بالكلام عن أصول الفقه، والجمع بين الأدلة، والتعارض والترجيح، وحمل المطلق على المقيد لأعياك الأمر، ولكن قولاً واحداً يلفت نظره إلى أهمية هذا العمل دون الدخول في تفاصيله التي يحتاج فقهها إلى زمن.

لقد أسمعني بعض صغار السن في مجمع كبير من أسنانه في محاضرة قولاً شديداً بصوت جهوري صدَّره بالطعن في العلماء، وسكوتهم عن الجهاد، رافعاً صوته بآيات من قبل: { فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}[التوبة: 5] {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ} [التوبة:29] { وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ }[النساء:91] {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ}[محمد:4].

فألهمني الله بقول: كل ما قلته حق، ولكن هل أنت صائم اليوم؟ قال: لا، قلت: أعوذ بالله! قال: لماذا؟ قلت: ألم يقل الله عز وجل-:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183].

قال: للصوم وقته. قلت: من قال هذا؟ قال: الله -عز وجل- حيث يقول:{ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ } [البقرة: 185].

قلت: والذي قال: {قَاتِلُوا} { وَاقْتُلُوهُمْ }حدد لنا سبحانه كيف نقاتل، ومع من نقاتل،وما هي ضوابط الجهاد وحدوده.

والذي قال:{ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} [التوبة:36] قال:{ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9) }[الممتحنة:8-9] فليس يصح يا بني أن تقطع نصاً عن نصوص.

## خامساً: الحوار:

وهو:( تردد الكلام بين فريقين؛ للوصول إلى الحق والصواب ).

والفريقان في السنة هما: النبي -- من جهة، ومن وقع في خلل وانحراف من جهة أخرى، أو من كان يريد العلم أو المعرفة، فيعلم بطريق الحوار.

**المقصود من الحوار:**

إن الحوار ما هو إلا وسيلة يتوصل بها إلى مقصد عظيم متمثل بتحقيق فوائد ثلاث:

**الأولى:** كشف شبهات المنحرفين التي أوقعتهم في الانحراف.

**الثاني:** إظهار عوار المنحرفين للناس؛ حتى لا يصغوا إليهم أسماعهم، فيشاركوهم الانحراف.

**الثالث:** إرجاع من انحرف إلى جادة الحق والصواب.

وهذه أمثلة من السيرة والسنة لا يراد منها الاستقصاء، بل التدليل على استخدام الحوار كوسيلة عالج بها -- خلالاً، أو انحرافاً قد وقع لدى بعضٍ من أفراد الأمة، فأبان الحق، وأزال الشبهة:

1- ففي السيرة: أن عتبة بن ربيعة قام حتى جلس إلى رسول الله -- فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة - أي: الشرف- في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني حتى أعرض عليك أمورا تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها.

قال: فقال له رسول الله --: " يا أبا الوليد أسمع ".

قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا؛ حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك عليناً، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه، أو كما قال له.

حتى إذا فرغ عتبة قال له النبي --: " أفرغت يا أبا الوليد؟ " قال: نعم. قال: " اسمع مني " قال: أفعل، فقال رسول الله --:{ حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }[فصلت:1-3] فمضى رسول الله -- يقرؤها، فلما سمع بها عتبة أنصت لها، وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليهما ليسمع منه؛ حتى انتهى رسول الله -- إلى السجدة فسجدها ثم قال: " سمعت يا أبا الوليد؟ " قال: سمعت، قال: " فأنت وذاك ".

ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فلما جلسوا إليه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم وكنت أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم([[111]](#footnote-111)).

يعلمنا النبي -- هنا احترام الخصم، وإن كان كافراً، واحترام حواره، فنبينا -- أنصت لهذا الكافر، واستمع لحجته وتركه يُفرغ ما لديه، فقال له:" يا أبا الوليد أسمع ".

ثم ظهر من أدبه في حواره أن أكد على الخصم بأسلوب واضح مؤدب:" أفرغت يا أبا الوليد؟ " ثم طلب من الخصم العدل، فهو كما أنصت حتى انتهى من إيراد شبهه؛ طلب المعاملة بالمثل، فقال: " اسمع مني ".

ثم قابل النبي -- أسلوب الخصم بأسلوب مدهش، فقابل دليله بدليل خارج السياق الذي أتى به الخصم، فلم ينجر للجواب عن أسئلته، بل أخذ الخصم لساحة أخرى وهي إثبات نبوته من خلال كلام الله المعجز، والذي يتذوقه من عرف طعم ومتعة وحقيقة الكلام العربي، فما كان من الخصم إلا أن أصاخ سمعه، وأنصتت جوارحه، فكان أن انقلب بحال غير الحال التي جاء بها.

2- وعن عمر بن الخطاب -- قال بينما نحن عند رسول الله -- ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي -- فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله --: " الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً " قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال:" أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل " قال فأخبرني عن أمارتها؟ قال " أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان " قال: ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال لي:" يا عمر أتدري من السائل؟ " قلت: الله ورسوله أعلم، قال:" فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم "([[112]](#footnote-112)).

الحوار هنا استخدم لتعليم أركان الإسلام، وبعضاً من مفرداته التي يحتاج إليها كل مسلم بطريقة غير مباشرة.

وكان طريقة الحوار عبارة عن سؤال واضح، وجواب أشد وضوحاً.

3- وعن معاوية بن الحكم السلمي -- قال: بينا أنا أصلِّي مع رسول الله -- إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم؟ تنظرون إليَّ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصمتونني، لكني سكت، فلما صلى رسول الله -- فبأبي هو وأمي ما رأيت مُعلماً قبله، ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني قال:" إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن " أو كما قال رسول الله --.

قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان؟ قال:" فلا تأتهم " قال: ومنا رجال يتطيرون؟ قال:" ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدنهم - قال ابن المصباح فلا يصدنكم – قال: قلت: ومنا رجال يخطون؟ قال:" كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك " قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحُدٍ والجَوَّانِيَّةِ فاطَّلعت ذات يوم، فإذا الذِّيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله -- فعظَّم ذلك عليَّ قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال:" ائتني بها " فأتيته بها فقال لها: " أين الله؟ " قالت: في السماء، قال:" من أنا؟ " قالت: أنت رسول الله. قال:" أعتقها فإنها مؤمنة "([[113]](#footnote-113)).

4- وعن أبي إمامة -- قال: إن فتى شاباً أتى النبي -- فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه، فزجروه، قالوا: مَهْ مَهْ فقال:" ادنه " فدنا منه قريباً قال: فجلس، قال:" أتحبه لأمك؟" قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال:" ولا الناس يحبونه لأمهاتهم " قال: " أفتحبه لابنتك؟ " قال: لا والله، يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال:" ولا الناس يحبونه لبناتهم " قال:" أفتحبه لأختك؟ " قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال:" ولا الناس يحبونه لأخواتهم " قال: " أفتحبه لعمتك؟" قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال:"ولا الناس يحبونه لعماتهم " قال:" أفتحبه لخالتك؟" قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال:" ولا الناس يحبونه لخالاتهم " قال: فوضع يده عليه، وقال:" اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه " فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء([[114]](#footnote-114)).

يلحظ هنا استخدام اللين في الحوار، فمع غرابة الطلب واستهجانه، إلا أننا نجد أن النبي قد استوعب هذا الشاب، فلم يعنفه أو يهمل سؤاله.

فكانت المبادرة لاكتشاف طبيعة الشاب وأنه صاحب غيرة، فاستمر النبي-- في نفس السياق فالمزني بها لا تخلو من الأنواع السابقة، ويلحظ في الحوار أنه مباشر ( أمك، خالتك، أختك، ابنتك ) ليكون وقع بغض الزنا أشد على الطالب.

فلما فند -- هذه الشبهة، وضع يده عليه وذلك له أثر، يُشعر بمزيد عناية واهتمام بالسائل.

5- وعن أبي ذرٍّ -- أنَّ ناساً منْ أصحاب رسول الله -- قالوا للنَّبيِّ --: يا رسول الله ذَهَبَ أهلُ الدُّثُورِ بالأجور، يصلُّونَ كما نصلِّي، ويصومون كما نصوم ويتصدَّقُونَ بفُضُول أموالهم، قال:" أوليسَ قد جعل الله لكم ما تَصَّدَّقُونَ؟ إنَّ بكلِّ تسبيحةٍ صدقةً، وكلِّ تكبيرةٍ صدقةً، وكلِّ تحميدةٍ صدقةً، وكلِّ تهليلةٍ صدقةً، وأمرٌ بالمعروف صدقةٌ، ونهيٌ عن منكرٍ صدقةٌ، وفي بُضْعِ أحدكم صدقةٌ " قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدُنا شَهْوَتَهُ ويكونُ له فيها أجرٌ؟ قال: " أرأيتمْ لو وضعها في حرَامٍ، أكان عليه وزرٌ، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرٌ "([[115]](#footnote-115)).

استخدم الحوار هنا المحاكمة العقلية.

6- عن أبي هريرة -- أن رسول الله -- جاءه أعرابي، فقال: يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسود؟! فقال:" هل لك من إبل؟" قال: نعم، قال: " ما ألوانها؟ " قال: حمر، قال:" هل فيها من أورق؟ " قال: نعم، قال:" فأنى كان ذلك؟" قال: أراه عرق نزعه. قال:" فلعل ابنك هذا نزعه عرق "([[116]](#footnote-116)).

الحوار هنا أزال شبهة وخاطراً طرأ على هذا الرجل، كادت أن تعصف بحياته الزوجية، واستخدم الحوار لغة يفهما ويعقلها هذا الرجل، فكان أن أزيلت الشبهة بسؤال من النبي -- وجواب من الرجل.

7- وعن خويلة بنت مالك بن ثعلبة قالت: ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت فجئت رسول الله -- أشكو إليه، ورسول الله -- يجادلني فيه، ويقول:" اتقي الله فإنه ابن عمك " فما برحت حتى نزل القرآن:{ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا}[المجادلة:1] إلى الفرض، فقال: " يعتق رقبة " قالت: لا يجد، قال: " فيصوم شهرين متتابعين " قالت: يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: " فليطعم ستين مسكيناً " قالت: ما عنده من شيء يتصدق به، قالت: فأتي ساعتئذ بعرق من تمر، قلت: يا رسول الله فإني أعينه بعرق آخر، قال: " قد أحسنت، اذهبي فأطعمي بها عنه ستين مسكيناً وارجعي إلى ابن عمك "([[117]](#footnote-117)).

الحوار هنا عالج قضية هذه المرأة، ونلحظ صبر النبي-- على مراجعتها.

8- وعن أنس بن مالك -- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -- يسألون عن عبادة النبي -- فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي -- قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول اللَّه -- فقال:"أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي، فليس مني!"([[118]](#footnote-118)).

عالج الحوار هنا انحرافاً له حظ كبير بما يسمى: الغلو، فبين لهم -- سماحة واعتدال الإسلام، مستنكراً فعلهم، مبيناً أنه على خلاف سنته، ومنهجه وأنه -- قد تبرأ من مخالفها.

9- وفي السيرة في قصة وفد نصارى نجران أنهم؛ حتى إذا كانوا بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله -- فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب.

فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانوا يعرفونهما فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن، إن نبيكم كتب إلينا بكتاب، فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه، فسلمنا عليه، فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أترون أن نرجع؟ فقالا لعلي بن أبى طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال لعثمان ولعبد الرحمن: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يعودوا إليه.

ففعلوا فسلموا فرد سلامهم، ثم قال--:" والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى، وإن إبليس لمعهم ".

ثم ساءلهم وساءلوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا: ما تقول في عيسى، فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، يسرنا إن كنت نبياً أن نسمع ما تقول فيه.

فقال رسول الله --:" ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا؛ حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى ".

فأصبح الغد وقد أنزل الله - عز وجل- هذه الآية:{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61)}[ آل عمران: 59 – 61].

فأبوا أن يقروا بذلك.

فلما أصبح رسول الله -- الغد بعد ما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له، وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة.

فقال شرحبيل لصاحبيه: قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيي، وإني والله أرى أمراً ثقيلاً، والله لئن كان هذا الرجل ملكاً متقوياً، فكنا أول العرب طعن في عينه، ورد عليه أمره، لا يذهب لنا من صدره، ولا من صدور أصحابه؛ حتى يصيبونا بجائحة، وإنَّا أدنى العرب منهم جواراً، ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعناه لا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك.

فقال له صاحباه: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال: رأيي أن أحكمه، فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً، فقالا له: أنت وذاك.

قال: فتلقى شرحبيل رسول الله -- فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك فقال: " وما هو؟ " فقال: حكمك اليوم إلى الليل.

وليلتك إلى الصباح، فمهما حكمت، فينا فهو جائز.

فقال رسول الله --: " لعل وراءك أحداً يثرب عليك؟ " فقال شرحبيل: سل صاحبي، فقالا: ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأى شرحبيل.

فرجع رسول الله -- فلم يلاعنهم، حتى إذا كان الغد أتوه، فكتب لهم هذا الكتاب: " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب محمد النبي الأمي رسول الله لنجران أن كان عليهم حكمه في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء ورقيق، فأفضل عليهم وترك ذلك كله على ألفي حلة، في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة "([[119]](#footnote-119)).

يلاحظ هنا أن النبي -- أرغم الخصم على الخضوع لمتطلباته لإنجاز هذا الحوار، فأبدلوا ثياب الفخر والأنفة بثياب السفر، ولعل في هذا انكساراً، أو قل هزيمة نفسية للخصم، ثم لما وصل الحوار إلى طريق مسدود طلب منهم وبشكل حازم اللعان، مما أصاب القوم بالإرباك والاضطراب، ومن ثم الخضوع لحكم الرسول --.

## سادساً: فتح مجالات الدعوة والإصلاح لهم:

إن أمة محمد -- أمة دعوة ورسالة: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: 110 ].

ولا بد لهذه الأمة؛ حتى تحقق خيريتها من الاجتهاد في الدعوة، وقيام طائفة بالتصدي لهذه المهمة العظيمة:{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[ آل عمران: 104].

وبنشر الدعوة الرشيدة المعتدلة، ينقطع داء الانحراف الفكري يتبين ذلك عبر الملحوظات الآتية:

**الأولى:** أنه لا يظهر الانحراف الفكري إلا في غيبة الدعوة إلى الاعتدال، أو التقصير في ذلك، فإذا نشرت الدعوة الرشيدة، وملأت الساحة، قطعت الطريق أمام الانحراف والمنحرفين.

**الثانية:** قطع مورد من موارد الانحراف الفكري، وسبب من أسبابه هو: عدم فتح مجالات الدعوة، الأمر الذي دفع ببعض الناس إلى انتهاج ضروب من الدعوة على غير منهج السلف.

**الثالثة:** أن من أسباب الانحراف الفكري أسباباً ستنتهي أو يضعف وجودها مع انتشار الدعوة، من مثل الفساد العقدي، والانحلال الأخلاقي.

**الرابعة:** إشغال الشباب الراغبين في الدعوة بأعمال رشيدة تقطع الفراغ المنشئ للجدل والمنبت لنزعات الانحرافات الفكرية.

إن مجالات الدعوة والإصلاح التي يمكن أن تفتح للناس هي مجالات دعوة السلف الصالح، من تعليم الناس الخير، وتربيتهم عليه، بتعليم القرآن الكريم، وسنة سيد المرسلين -- وذلك بوسائل متعددة:

**1-** إيجاد مؤسسات خاصة بالدعوة، تعنى بتنظيم شؤونها والإشراف على القائمين بها، وتنويع تلك المؤسسات، بحسب تنوع اختصاصاتها.

**2-** إحياء دور المسجد، وإقامة الدروس العلمية والمحاضرات وترتيبها وتقسيمها بحيث تتناسب مع فئات المجتمع المختلفة.

**3-** الجمع بين التربية والتعليم في البيوت والمؤسسات التعليمية، بحيث لا يكون دور المدارس والعاهد والجامعات، قاصراً على التلقين المجرد.

**4-** استثمار الوسائل والأدوات الحديثة، ووسائل التواصل المتعددة والمتجددة بحيث يصل صوت الدعوة السلفية الرشيدة إلى كل الأماكن وكل الشرائح.

إن نشر الدعوة السلفية الرشيدة من شأنه قطع دابر الانحراف الفكري؛ لأن الشر لا ينتشر حين تقوى دعوة الخير.

## سابعاً: دعوتهم إلى الاشتغال بالأعمال النافعة:

إن النفس البشرية إن لم تشتغل بالخير اشتغلت بالشر، والشباب لهم من ذلك النصيب الأوفى، ولذلك فإن لزاماً على مريد معالجة انحراف الشباب أياً كان ذلك الانحراف: القصد إلى إشغالهم بالأعمال النافعة، التي تبعدهم عن دواعي الانحراف وأسباب الزيغ.

وهذه مهمة يخاطب بها الشباب أنفسهم، ليشغلوا أنفسهم بالنافع من الأعمال ابتغاء رضوان الله تعالى، وانصرافاً عما يضاد أوامره سبحانه.

**1- الاشتغال بالعبادة:** فانصراف العبد إلى إصلاح ذاته، يصرفه عن الاشتغال بالناس، ومن قويت صلته بربه، أداه ذلك فوق الإشغال عن المعاصي إلى حسن التعامل مع الخلق، وكمال الرعاية لحقوقهم.

**2- الاشتغال بالتعلم والتعليم:** إن طلب العلم أمر دعا إليه الشارع،وجعله مناط خيرية الناس، ففي الحديث: " خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه "([[120]](#footnote-120)).

والاشتغال بالعلم والتعليم كما يصرف المرء عن الانحراف الفكري الذي يسوقه إليه الجهل، يصرف أيضاً صاحبه عن الانحراف إلى مجال من مجالات الاعتدال.

**3- الاشتغال بالدعوة:** إن في الاشتغال بالدعوة تفريغاً للشحن العاطفية التي تمتلئ بها صدور بعض الشباب؛ لفرط ما يرى من معاص وانحرافات، فرؤية الشاب لنتيجة دعوته في الدنيا، يصرفه عن مظاهر من الانحراف الفكري دفع إليها عدم تصور الواجب نحو المنكرات الظاهرة.

ويمكن أن ينظم لإشغال الشباب على الدعوة مؤسسات متفرغة لذلك، مثل مراكز الدعوة، والندوة العالمية للشباب الإسلامي ونحو ذلك.

**4- الاشتغال بالأعمال الاجتماعية النافعة:** إن القيام بخدمة المجتمع المسلم،وتقديم العون له عبادة رفيعة، كما أنها تعود النفس على الإيجابية السائقة إلى رحمة الناس والرأفة بهم وكل ذلك مضاد للانحراف الفكري القائم على الإعنات بالنفس والناس والشدة على الخلق.

**5- الاشتغال بالعمل النافع:** فلقد أمر الله بالسعي في الأرض وطلب الرزق {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}[الملك:15].

فطلب الرزق شاغل عن الانحراف، ولذلك يكثر حين التكلم عن المشكلات الاجتماعية الكلام عن البطالة بحسبانها المناخ الملائم لحدوث التوترات الاجتماعية.

والعمل المقصود هنا ليس مجرد الوظائف في القطاعات الحكومية والمؤسسات، بل يمكن أن يشغل الإنسان نفسه بالمهن الحرة والأعمال الخاصة، مع عدم إغفاله لحقوق الله وحقوق خلقه.

## ثامناً: بث روح التفاؤل والثقة بالله في نفوسهم:

إن أحداث الحياة، وشدائد الأحداث، قد تورث المرء لوناً من اليأس والقنوط، وقد تبين في أسباب الانحراف الفكري أن ذلك اليأس يسوق إلى الأفعال اليائسة، فإذا كان المرء مصاباً بالقنوط من إصلاح الناس، اندفع إلى القتل أو العنف؛ لأن ذلك العنف هو الأسلوب الناجع - بزعمه -.

والمتأمل في سيرة النبي -- يجد نزوعاً إلى التبشير في موضع الخوف، وبث الأمل في النفوس في مواضع اليأس والقنوط؛ لأنه ما لم يجد المرء أملاً يعمل جاهداً لتحقيقه، فإنه يصاب بالإحباط، ومن شواهد بث الرسول الأمل في نفوس الصحابة ما جاء عن خباب بن الأرت -رضي الله عنه- قال: أتيت النبي -- وهو متوسد بردة، وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمر وجهه، فقال:" لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، ما يخاف إلا الله " زاد بيان:" والذئب على غنمه "([[121]](#footnote-121)).

إنه إذا امتلأت النفوس أملاً وتفاؤلاً، انصرفت نحو العمل الجاد البناء، بدعوة الناس إلى الخير، وإذا امتلأت النفوس بتلك الثقة برئت من أدواء التوهم واليأس والقنوط المانعة من العمل النافع، الدافعة إلى أفعالٍ وأقوالٍ لا تتفق مع المنهج الذي سار عليه النبي -- فلا يحدث ولا يبتدع في دعوته النَّاس.

## تاسعاً: تحذيرهم من الانحراف:

لقد حزرت السنّة من الضلال، ومن فرق الضلال، وجاء التحذير مبيناً بوجه أخص خطر الخوارج، وعظيم ضررهم على الأمة، والأحاديث في هذا كثيرة منها:

عن سويد بن غفلة قال: قال عليّ --: إذا حدَّثتكم عن رسول الله-- حديثاً فلأن أخرَّ من السماء أحبُّ إليَّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإنما الحرب خدعة، سمعت رسول الله -- يقول: " يأتي في آخر الزمان قوم حُدَثَاءُ الأسنَانِ سُفَهَاءُ الأحْلاَمِ، يقولون من قول خير البريَّة، يمرُقون من الإسلام كما يَمْرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّةِ، لا يجاوز إيمانهم حَنَاجِرَهُم، فأينما لقيتموهم فاقتُلُوهُم، فإنَّ في قتلهم أجراً لمن قتَلهم يوم القيامة "([[122]](#footnote-122)).

وعن أبي سعيد الخدري -- قال: بينا النبي -- يقسم ذات يوم قسماً، فقال ذو الخويصرة - رجل من بني تميم -: يا رسول الله اعدل، قال:" ويلك، من يعدل إذا لم أعدل؟ " فقال عمر: ائذن لي فلأضرب عنقه، قال " لا، إن له أصحاباً يَحقِرُ أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامَه مع صيامهم، يمرقون من الدين كمروق السَّهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رِصافِه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نَضِيِّه فلا يوجد فيه شيء، ثمَّ ينظر إلى قُذَذِهِ فلا يوجدُ فيه شيء، سَبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ، يخرجون على حين فُرقة من الناس، آيتهم رجل إحدى يديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ "

قال أبو سعيد: أشهد لسمعته من النبي -- وأشهد أني كنت مع عليٍّ حين قاتلهم، فالتمس في القتلى، فأتى به على النعت الذي نعت النبي--([[123]](#footnote-123)).

وتحذير النبي -- من هذه الفرقة سابق لوجودها؛ حماية للأمة من ضلال هذه الفرقة، وإذا جاء هذا في السنّة فإن حقاً على كل عالم أن يحذر الأمة مما حذر منه الرسول--.

**وكما يحذر من فرق الضلال، يأتي التحذير:**

**أ- من أعمال أهل الضلال:** ومن ذلك الغلو، حيث جاءت الشريعة بالتحذير منه يقول النبي--: " وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين "([[124]](#footnote-124)).

**ب- والتحذير من أوصاف معينة:** كالافتراق عن الحق، حيث جاء التحذير في القرآن والسنة من التفرق، قال تعالى:{ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[آل عمران:105].

وقال النبي --:" من فارق الجماعة شبراً فمات، إلا مات مِيتَةً جَاهِلِيَّةً "([[125]](#footnote-125)).

**ج- التحذير من الابتداع:** فلقد جاء التحذير من الابتداع في الدين و( البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب، فأما ما أمر به أمر إيجاب، أو استحباب، وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية، فهو من الدين الذي شرعه الله، وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك، وسواء كان هذا مفعولاً على عهد النبي صلى -- أو لم يكن )([[126]](#footnote-126)).

قال الشاطبي -رحمه الله-:( البدعة إذاً عبارة عن: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه)([[127]](#footnote-127)).

ولقد جاء التحذير من الابتداع في الدين في كثير من النصوص، فمن ذلك:

قوله تعالى:{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}[المائدة:3].

قال ابن سعدي-رحمه الله-:( { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ } بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين أصوله وفروعه.

فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره، فهو جاهل، مبطل في دعواه، قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله )([[128]](#footnote-128)).

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما- أن رسول الله -- قال: " أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة "([[129]](#footnote-129)).

وفي رواية:" وكل ضلالة في النار "([[130]](#footnote-130)).

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله--:" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رَدٌّ "([[131]](#footnote-131)).

وفي رواية: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رَدٌّ "([[132]](#footnote-132)).

قال النووي -رحمه الله-:( قوله --:" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ " وفي الرواية الثانية:" من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ " قال أهل العربية: الرد هنا بمعنى المردود، ومعناه فهو باطل غير معتد به.

وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه -- فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، وفي الرواية الثانية: زيادة وهي: أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها، فإذا احتج عليه بالرواية الأولى، يقول: أنا ما أحدثت شيئاً فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات سواء أحدثها الفاعل، أو سبق بإحداثها ) وأضاف:( وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به )([[133]](#footnote-133)).

**المحتويات**

[المبحث الأول: - 10 -](#_Toc434394928)

[تحرير المراد بالعالم الشرعي - 10 -](#_Toc434394929)

[أولاً: التفريق بين العلماء والقراء: - 11 -](#_Toc434394930)

[ثانياً: التفريق بين العلماء والمفكرين والمثقفين: - 13 -](#_Toc434394931)

[ثالثاً: التفريق بين العلماء والخطاب والوعاظ: - 14 -](#_Toc434394932)

[المبحث الثاني: العلم الشرعي حصانة من الجهل - 15 -](#_Toc434394933)

[المبحث الثالث: الأسس المتعلقة بمنزلة العلماء - 20 -](#_Toc434394935)

[أولاً: ربط العامة بالعلماء المعتبرين: - 20 -](#_Toc434394937)

[ثانياً: حماية جناب العلماء من القدح والانتقاص: - 26 -](#_Toc434394938)

[ثالثاً: تقديم الأصلح والأنفع من أهل العلم في المنابر الإعلامية: - 27 -](#_Toc434394939)

[المبحث الرابع: الأسس الأخلاقية في التعامل مع الشباب - 30 -](#_Toc434394940)

[أولاً: الإخلاص: - 30 -](#_Toc434394942)

[ثانياً: العلم: - 32 -](#_Toc434394943)

[ثالثاً: التوازن والرجوع إلى الوسطية: - 35 -](#_Toc434394944)

[رابعاً: الحرص على هداية الشباب وحمايتهم: - 42 -](#_Toc434394945)

[خامساً: الرحمة والشفقة لهؤلاء الشباب: - 45 -](#_Toc434394946)

[المبحث الخامس: الأسس العملية في وقاية الشباب من الانحراف - 48 -](#_Toc434394947)

\[أولاً: نشر العلم الشرعي: - 48 -](#_Toc434394949)

[ثانياً: نشر مذهب السلف: - 50 -](#_Toc434394950)

[ثالثاً: المناصحة والموعظة الحسنة: - 52 -](#_Toc434394951)

[رابعاً: كشف الشبهات ومعالجتها: - 55 -](#_Toc434394952)

[خامساً: الحوار: - 59 -](#_Toc434394953)

[سادساً: فتح مجالات الدعوة والإصلاح لهم: - 68 -](#_Toc434394954)

[سابعاً: دعوتهم إلى الاشتغال بالأعمال النافعة: - 70 -](#_Toc434394955)

[ثامناً: بث روح التفاؤل والثقة بالله في نفوسهم: - 71 -](#_Toc434394956)

[تاسعاً: تحذيرهم من الانحراف: - 72 -](#_Toc434394957)

1. (1) الجصاص: أحكام القرآن:(3/170). [↑](#footnote-ref-1)
2. (1) انظر الشاطبي: الموافقات: (4/262) و(4/293). [↑](#footnote-ref-2)
3. (2) ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:( 190). [↑](#footnote-ref-3)
4. (1) جامع البيان:(28/19). [↑](#footnote-ref-4)
5. (1) رواه أحمد:(5/196) وأبو داود: برقم:(3614) والترمذي برقم:(2823) وصححه الألباني. [↑](#footnote-ref-5)
6. (2) شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم:(46). [↑](#footnote-ref-6)
7. (3) رواه أحمد:برقم:(2947) وأبو داود: برقم:(3659) وابن حبان برقم:(61) وصححه الألباني. [↑](#footnote-ref-7)
8. (4) رواه البخاري: كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم:(1/174) ومسلم كتاب: العلم، باب: رفع العلم وقبضه:(4/2058). [↑](#footnote-ref-8)
9. (5) رواه ابن عبد البر: جامع بيان العلم:(1/155). [↑](#footnote-ref-9)
10. (1) ابن القيم: إعلام الموقعين:(1/7). [↑](#footnote-ref-10)
11. (2) مفتاح دار السعادة:(1/140). [↑](#footnote-ref-11)
12. (1) الفتاوى:(11/43). [↑](#footnote-ref-12)
13. (2) رواه البخاري: كتاب: استتابة المرتدين، باب: ترك قتال الخوارج:(8/53) ومسلم: كتاب: الزكاة ، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم:(2/741). [↑](#footnote-ref-13)
14. (1) ابن حجر: الفتح:(12/293). [↑](#footnote-ref-14)
15. (2) السير:(7/153). [↑](#footnote-ref-15)
16. (1) المحدث الفاصل:(219). [↑](#footnote-ref-16)
17. (1) تلبيس إبليس:(127). [↑](#footnote-ref-17)
18. (2) رواه البخاري: الأدب المفرد:(346) والطبراني: الكبير:(9/108) قال الهيثمي:( رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ) المجمع:(10/249) وصححه الحافظ في الفتح:(10/510). [↑](#footnote-ref-18)
19. (1) رواه البخاري:(45) برقم:(100) ومسلم:(1072) برقم:(2673). [↑](#footnote-ref-19)
20. () الاعتصام:(3/ 99). [↑](#footnote-ref-20)
21. () الشاطبي: الاعتصام:(3/ 99). [↑](#footnote-ref-21)
22. () الشاطبي: الاعتصام:(3/ 99). [↑](#footnote-ref-22)
23. (2) أخرجه البخاري:(1444) برقم:(7562). [↑](#footnote-ref-23)
24. () الاعتصام:(3/ 101). [↑](#footnote-ref-24)
25. () اقتضاء الصراط المستقيم:(1/ 148). [↑](#footnote-ref-25)
26. () مجموع الفتاوى:( 14 / 22 - 23 ) . [↑](#footnote-ref-26)
27. () مدارج السالكين:( 1 / 220 ) . [↑](#footnote-ref-27)
28. () شفاء العليل:( 170 - 171 ) . [↑](#footnote-ref-28)
29. () ابن تيمية: مجموع الفتاوى:( 25 / 281 ) . [↑](#footnote-ref-29)
30. () تلبيس إبليس:( 154).. [↑](#footnote-ref-30)
31. () ابن القيم: مفتاح دار السعادة (1/ 119). [↑](#footnote-ref-31)
32. () أخرجه الخطيب: الجامع لأخلاق: برقم:( 1587) والبيهقي: شعب الإيمان:(2/ 425) برقم( 2283 ). [↑](#footnote-ref-32)
33. () رواه البخاري معلقاً عن ابن عمر: صحيفة:(1322) ولكن بدون ذكر السؤال، وقال ابن حجر:( وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار .. وسنده صحيح ) الفتح:( 12 / 286 ). [↑](#footnote-ref-33)
34. (1) هذا الحديث أورده أهل العلم عن عدد من الصحابة، وفي طرقه جميعها كلام، فممن رواه البيهقي:(10/209) برقم:( 20700 ) وأشهر طرقه: رواية معان بن رفاعة، وأكثر المحدثين على تضعيفه، وتضعيف الحديث ما عدا الإمام أحمد حيث لم ير بمعان بأساً كما صحح الحديث هو وابن عبد البر، وضعف الحديث مرفوعاً جمع من العلماء منهم الحافظ العراقي كما في: التقييد والإيضاح:( 138) وابن كثير: الباعث الحثيث: (94) وقال السخاوي:( الحديث مع كثرة طرقه ضعيف ): فتح المغيث:(1/197) وينظر التخريج المطول لهذا الحديث لبدر بن عبد الله البدر في تحقيقه لكتاب ابن وضاح:( ما جاء في البدع ): (25-32 ). [↑](#footnote-ref-34)
35. (2) تهذيب الأسماء واللغات: (1/17). [↑](#footnote-ref-35)
36. (1) إغاثة اللهفان:(1/159). [↑](#footnote-ref-36)
37. (2) أخرجه مسلم: برقم:( 2699). [↑](#footnote-ref-37)
38. (3) أخرجه الدارمي:(1/78). [↑](#footnote-ref-38)
39. (4) رواه أبو داود: برقم:(3659) وأحمد: برقم:( 2944 ) وقال شعيب الأرنؤوط: ( إسناده صحيح ). [↑](#footnote-ref-39)
40. (1) ابن عبد البر: جامع بيان العلم:(1/126). [↑](#footnote-ref-40)
41. (2) المصدر نفسه:(1/49). [↑](#footnote-ref-41)
42. (3) الرامهرمزي: المحدث الفاصل:(206). [↑](#footnote-ref-42)
43. (4) أخرجه الترمذي: برقم:(2653) وقال:( حديث حسن غريب) والدارمي:(1/75). [↑](#footnote-ref-43)
44. (5) رواه الدارمي:(1/68) برقم:(249). [↑](#footnote-ref-44)
45. (1) رواه الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي:(1/79) [↑](#footnote-ref-45)
46. (2) ذكره ابن جماعة: تذكرة السامع:(87). [↑](#footnote-ref-46)
47. (3) أخرجه البخاري: برقم:(3138) ومسلم: برقم:( 1063). [↑](#footnote-ref-47)
48. (1) أخرجه أبو داود:(62) برقم:( 336) وابن ماجه:(73) برقم:( 572) وقال الألباني:( (حسن لغيره ) المشكاة:(1/ 165) برقم:( 531). [↑](#footnote-ref-48)
49. (2) سبق تخريجه:(5). [↑](#footnote-ref-49)
50. (1) رواه ابن عبد البر: جامع بيان العلم:(1/155). [↑](#footnote-ref-50)
51. (2) ويروى في ذلك حديث ضعيف عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال النبي --:" إن مثل العلماء في الأرض، كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم، أوشك أن تضل الهداة ". أخرجه أحمد:(25/ 185) برقم:( 12139) قال محققه شعيب الأرنؤوط:( إسناده ضعيف جداً ) وضعفه الألباني: السلسلة الضعيفة:(12/ 795) برقم:( 5874) ومع ذلك فإنه صحيح المعنى. [↑](#footnote-ref-51)
52. (1) أخرجه أحمد:(3/ 477) برقم:( 2036) وقال شعيب الأرنؤوط:( إسناده صحيح على شرط البخاري ). [↑](#footnote-ref-52)
53. (2) إعلام الموقعين:(3/ 108- 109). [↑](#footnote-ref-53)
54. (1) رواه الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية:(49). [↑](#footnote-ref-54)
55. (2) تبيين كذب المفتري:( 29). [↑](#footnote-ref-55)
56. (3) رواه البخاري: برقم:( 6496). [↑](#footnote-ref-56)
57. (1) مجموع الفتاوى:(28/258). [↑](#footnote-ref-57)
58. (2) مجموع الفتاوى:(28/254-255). [↑](#footnote-ref-58)
59. (3) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام:(2/ 280). [↑](#footnote-ref-59)
60. (1) إعلام الموقعين:(1/8-9). [↑](#footnote-ref-60)
61. (1) أخرجه البخاري:(21) برقم:(1) ومسلم:(792) برقم:(1907). [↑](#footnote-ref-61)
62. (2) مجموع الفتاوى:(11/454). [↑](#footnote-ref-62)
63. () الرد على الأخنائي:( 15 - 16 ). [↑](#footnote-ref-63)
64. (1) ابن تيمية: الاستقامة:(1/37). [↑](#footnote-ref-64)
65. (2) الجامع لأحكام القرآن:(4/70). [↑](#footnote-ref-65)
66. (3) درء تعارض العقل والنقل:(1/372) وينظر: الفتاوى:(20/164-165). [↑](#footnote-ref-66)
67. (1) أخرجه البخاري: برقم:(7372) ومسلم: برقم:(19). [↑](#footnote-ref-67)
68. () فتح الباري:( 3 / 358 ) . [↑](#footnote-ref-68)
69. () مجموع الفتاوى:( 9 / 253 ) . [↑](#footnote-ref-69)
70. () شرح صحيح مسلم:(2/23). [↑](#footnote-ref-70)
71. () هجر المبتدع:( 41 ). [↑](#footnote-ref-71)
72. (1) ابن تيمية: الصفدية:(1/293). [↑](#footnote-ref-72)
73. (1) مدارج السالكين:(2/496) وينظر له : الفوائد:(139-140) والشنقيطي: أضواء البيان:(1/494). [↑](#footnote-ref-73)
74. (2) جامع البيان:(3/ 142). [↑](#footnote-ref-74)
75. (1) ابن تيمية: الفتاوى:(1/65). [↑](#footnote-ref-75)
76. (2) أخرجه أبو داود:برقم:( 4607 ) والترمذي: برقم:( 2676 ) وقال:( هذا حديث حسن صحيح ) وأحمد: المسند:( 28/ 367) برقم:( 17142) وقال محققه شعيب الأرنؤوط:( حديث صحيح بطرقه وشواهده ) وابن ماجه: برقم:( 42 ). [↑](#footnote-ref-76)
77. (1) جامع البيان:( 2/7 ) وانظر: الشنقيطي: أضواء البيان: ( 1/17 ) وعبد الرحمن بن معلا اللويحق: الغلو في الدين:( 27). [↑](#footnote-ref-77)
78. (2) رواه ابن وضاح: البدع والنهي عنها: برقم:(10) وأبو نعيم: الحلية:(1/280). [↑](#footnote-ref-78)
79. (3) رواه أبو داود:(504) برقم:(4612) وابن بطة: الإبانة:(1/321). [↑](#footnote-ref-79)
80. (1) ينظر: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مشكلة الغلو في الدين:(3/786). [↑](#footnote-ref-80)
81. (1) أضواء البيان:(2/375). [↑](#footnote-ref-81)
82. (1) أضواء البيان:(2/316). [↑](#footnote-ref-82)
83. (2) رواه مسلم: برقم:( 2285). [↑](#footnote-ref-83)
84. (3) رواه البخاري: برقم:( 6483) ومسلم: برقم:( 2284). [↑](#footnote-ref-84)
85. (1) فتح الباري:(11/318). [↑](#footnote-ref-85)
86. (2) رواه البخاري: برقم:( 7283) ومسلم: برقم:( 2283). [↑](#footnote-ref-86)
87. (3) شرح النووي على صحيح مسلم:(15/48). [↑](#footnote-ref-87)
88. (1) الجامع لأحكام القرآن:(4/248). [↑](#footnote-ref-88)
89. (1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:(154). [↑](#footnote-ref-89)
90. (2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:( 356-357). [↑](#footnote-ref-90)
91. (3) رواه الحاكم: المستدرك على الصحيحين: (1/91) وقال:( حديث صحيح على شرطهما). [↑](#footnote-ref-91)
92. (1) رواه البخاري: برقم:( 2125). [↑](#footnote-ref-92)
93. (1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:( 441). [↑](#footnote-ref-93)
94. (2) أخرجه ابن ماجه:(39) برقم:(224) وصححه الألباني : صحيح سنن ابن ماجة:(1/44). [↑](#footnote-ref-94)
95. () أخرجه البخاري: برقم:( 71 ) ومسلم: برقم:( 1037). [↑](#footnote-ref-95)
96. () شرح صحيح مسلم:(7/128) وانظر: ابن حجر: فتح الباري:(1/164). [↑](#footnote-ref-96)
97. ()فتح الباري:(1/141) وانظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى:(11/396). [↑](#footnote-ref-97)
98. () فضل علم السلف على الخلف:(45) وانظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى:(20/141-142).. [↑](#footnote-ref-98)
99. (1) السفاريني: لوامع الأنوار:(1/20). [↑](#footnote-ref-99)
100. (1) السنة:(33-34) مع كتابه: الرد على الجهمية. [↑](#footnote-ref-100)
101. (2) هذا الحديث أورده أهل العلم عن عدد من الصحابة، وفي طرقه جميعها كلام، فممن رواه البيهقي:(10/209) برقم:( 20700 ) وأشهر طرقه: رواية معان بن رفاعة، وأكثر المحدثين على تضعيفه، وتضعيف الحديث ما عدا الإمام أحمد حيث لم ير بمعان بأساً كما صحح الحديث هو وابن عبد البر، وضعف الحديث مرفوعاً جمع من العلماء منهم الحافظ العراقي كما في: التقييد والإيضاح:( 138) وابن كثير: الباعث الحثيث: (94) وقال السخاوي:( الحديث مع كثرة طرقه ضعيف ): فتح المغيث:(1/197) وينظر التخريج المطول لهذا الحديث لبدر بن عبد الله البدر في تحقيقه لكتاب ابن وضاح:(ما جاء في البدع ): (25-32 ). [↑](#footnote-ref-101)
102. (3) إغاثة اللهفان:(1/159). [↑](#footnote-ref-102)
103. () أخرجه البخاري: برقم:(57) ومسلم: برقم:(56). [↑](#footnote-ref-103)
104. (2) أخرجه مسلم: برقم:(55). [↑](#footnote-ref-104)
105. (1) رواه البخاري: برقم:(5063) ومسلم: برقم:( 1401 ). [↑](#footnote-ref-105)
106. () رواه ابن وضاح: البدع والنهي عنها:( 8 - 10) . [↑](#footnote-ref-106)
107. () رواه ابن بطة: الإبانة:( 1/ 422 ). [↑](#footnote-ref-107)
108. (1) ينظر: الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد:(14-15). [↑](#footnote-ref-108)
109. (2) رواه الدارمي:(1/90) وابن بطة: الإبانة:(2/435). [↑](#footnote-ref-109)
110. (1) أخرجه أحمد: المسند:(45/ 180) برقم:( 21185) وقال محققه شعيب الأرنؤوط:( إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح ) والطبراني: المعجم الكبير:(8/ 162). [↑](#footnote-ref-110)
111. (1) رواه البيهقي: دلائل النبوة:(2/ 204) ونقله عنه ابن كثير: السيرة النبوية:(1/503-505) واللفظ له. [↑](#footnote-ref-111)
112. (1) أخرجه البخاري: برقم:(50) ومسلم: برقم:(8). [↑](#footnote-ref-112)
113. (1) أخرجه مسلم:(216) برقم:( 537). [↑](#footnote-ref-113)
114. (2) أخرجه أحمد: المسند:(45/ 180) برقم:( 21185) وقال محققه شعيب الأرنؤوط:( إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح ) والطبراني: المعجم الكبير:(8/ 162). [↑](#footnote-ref-114)
115. (1) أخرجه مسلم:(389) برقم:( 1006). [↑](#footnote-ref-115)
116. (2) أخرجه البخاري: برقم:(7314) ومسلم: برقم:( 1500). [↑](#footnote-ref-116)
117. (1) أخرجه أبو داود: برقم:(2214) وسكت عنه، والبيهقي: الكبرى:(7/ 391) برقم:( 15061) وذكر الألباني أنه صحيح بشواهده: إرواء الغليل:(7/ 173). [↑](#footnote-ref-117)
118. (2) رواه البخاري: برقم:(5063) ومسلم: برقم:( 1401 ). [↑](#footnote-ref-118)
119. (1) رواه البيهقي: دلائل النبوة:(5/ 385) ونقله عنه ابن كثير: السيرة النبوية:(4/101). [↑](#footnote-ref-119)
120. (1) رواه البخاري: برقم:(5027). [↑](#footnote-ref-120)
121. (1) رواه البخاري: برقم: (3852). [↑](#footnote-ref-121)
122. (1) رواه البخاري: برقم: (3611) وبرقم:(5057) ومسلم: برقم:( 1066) بزيادة:" يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ". [↑](#footnote-ref-122)
123. (1) أخرجه البخاري: برقم:(6163) ومسلم: برقم:(1064). [↑](#footnote-ref-123)
124. (2) أخرجه النسائي: برقم:( 3057) وابن ماجه: برقم:(3029) وصححه ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم:(1/289) والنووي: المجموع:(8/138). [↑](#footnote-ref-124)
125. (3) أخرجه البخاري: برقم:( 7054)، ومسلم: برقم:( 1849). [↑](#footnote-ref-125)
126. (1) ابن تيمية: الفتاوى:(4/107-108). [↑](#footnote-ref-126)
127. (2) الاعتصام:(1/37). [↑](#footnote-ref-127)
128. (3) تيسير الكريم الرحمن:(219). [↑](#footnote-ref-128)
129. (4) رواه مسلم:( 335) برقم:( 867). [↑](#footnote-ref-129)
130. (1) رواها النسائي: برقم:( 1578) وقال الألباني:( سندها صحيح) إرواء الغليل:(3/ 73). [↑](#footnote-ref-130)
131. (2) أخرجه البخاري: برقم:(2697) ومسلم: برقم:(1718). [↑](#footnote-ref-131)
132. (3) أخرجه البخاري معلقاً: صحيفة:(1400) ومسلم: برقم:(1718). [↑](#footnote-ref-132)
133. (4) شرح صحيح مسلم:(12/16). [↑](#footnote-ref-133)